نصوص الإمامية في التراث التفسيري وموقف محمد أركون منها

م.د. الشيخ ليث عبد الحسين فرحان العتابي
كلية الفقه_جامعة الكوفة

Mohammed Arkoun and dealing with interpretative texts, His dealings with the Imamate text as a model

Dr. Laith Abdul Hussein Farhan Al_Atabi

Faculty of jurisprudence_University of Kufa

E_mail: laytha.alattabi@uokufa.edu.iq

الملخص:

إن هذا بحث مقتضب سنتناول فيه النص الإمامي وتقسيماته، وطرق تعامل بعض الباحثين العرب معه، لاسيما محمد اركون، عبر بيان جملة من التهم التي وجهت للنص الإمامي من الحداثيين العرب، إذ لا بدّ من أن نبين تقسيمات النص الإمامي، وطرق تعامل الحداثيين العرب مع النص الإمامي، مروراً بسيرة حياة محمد اركون والمؤثرات الفكرية عليه مع بيان سمات مشروعه. ومن المهم أن نتناول الانتقائية والاقصائية عند محمد اركون في تعامله مع النصوص الإمامية، والتهم والقبول المؤدلج عنده في تعامله مع النصوص الإمامية.

Summary:

This is a brief discussion in which we will deal with the imam's text and its divisions, and the ways in which the Arab modernists dealt with it, especially Muhammad Arkun, through a statement of a number of charges that were brought to the imam's text by the Arab modernists, as it is necessary to show the divisions of the imam's text, and the ways in which the Arab modernists dealt with the imam's text, passing through the biography of Muhammad Arkun and the intellectual influences on him, with an indication of the features of his project. It is important to address the selectivity and exclusivity

of Muhammad Arkun in his dealings with the Imamate texts, and the accusations and polite acceptance of him in his dealings with the Imamate texts.

الكلمات المفتاحية:

النص، التراث، الإمامية، التفسير، القرآن، انتقاء، اقصاء، تهمة.

Key words:

Text_Hadith_imamiyyah_Tafsir_Quran_selection_exclusion_charge.

المقدمة:

إن النص الإمامي قد تعرض لكثير من التهم على طول تاريخه، فمن تهم المذاهب والملل والنحل، إلى تهم السلاطين ووعاظهم، ثم تهم أهل الكتاب، وتهم الملحدين والمنحرفين والفرق الضالة، وتهم الماديين والعلمانيين، وتهم المستشرقين، وتهم الحداثيين العرب، وقد كان هناك جملة مستكثرة ممن يدعي الحداثة ممن وجه التهم إلى الإمامية والنص الإمامي، ومن أبرزهم محمد اركون.

فمحمد اركون يرفض تسمية النص القرآني بتسمية (القرآن الكريم)، بل هو يسميه بـ(الظاهرة القرآنية).

إن محمد اركون ـ وبحسب ما توصل إليه الباحث عبر قراءة كامل مشروعه ـ قد تعامل مع النصوص، وبالخصوص النصوص الإمامية تعاملاً انتقائياً، واقصائياً، ومصلحياً، وذلك بحسب ما يخدم مراده، وتفكيره المؤدلج.

فلقد بدأ محمد اركون مشروعه بنقد العقل ليصل إلى نقد القرآن الكريم مروراً بنقد التراث، وقد آمن إيماناً لا رجعة فيه بضرورة إعادة قراءة التراث، وهو ما أكده في أكثر من موقع وفي أكثر من كتاب أو لقاء، فالمسلمون عنده لا يمكن أن يتحرروا فعلاً إلا إذا قاموا بنقد تراثهم كله[1].

في هذا البحث سنتناول النص الإمامي وتقسيماته، وطرق تعامل الحداثيين العرب معه، وبالخصوص محمد اركون، ثم بيان جملة من التهم التي وجهت للنص الإمامي من قبل الحداثيين العرب، إذ سنبين تقسيمات النص الإمامي،

(١) تاريخية الفكر العربي الإسلامي، محمد اركون: ١٣٨.

وبعدها طرق تعامل الحداثيين العرب مع النص الإمامي، ثم سنتناول سيرة حياة محمد اركون والمؤثرات الفكرية عليه مع بيان سمات مشروعه. بعدها سنتناول الانتقائية والاقصائية عند محمد اركون في تعامله مع النصوص الإمامية، ثم سنتناول الاتهام والقبول المؤدلج عند محمد اركون في تعامله مع النصوص الإمامية، بعدها ستكون خاتمة البحث.

المبحث الأول: النص الإمامي تقسيماته وطرق التعامل معه والتهم الموجهة له من الحداثيين العرب:

إن النص ـعموماًـ يقسم بحسب موضوعه إلى نصٍ سياسي، ونصٍ إداري، ونصٍ اقتصادي، وقانوني، وديني، الخ. ثم ان نفس النص قد يحتوي على مواضيع متعددة ومتنوعة، بصورة ثانوية، أو غير مباشرة.

أما النص الديني الإسلامي فإنه ـعموماًـ يقسم إلى نصوص مدارس أبناء العامة، وإلى نصوص شيعية، منها النص الإمامي الإثني عشري، وهو محل البحث ـهناـ في هذا الكتاب.

إن النص الإمامي في أساسه لن يختلف عن النص الإسلامي إطلاقاً إلا في جملة من الجزئيات، لكن ولأن مدار البحث عن (النص) الإمامي (الإثني عشري) لذا كان من اللازم توضيح المراد بذلك، وما يتعلق به من أمور، وذلك عبر بيان تقسيماته، وسماته، وركائزه.

ملاحظتان مهمتان:

(١) الأولى: أن كلامنا عن النص الإمامي وما يتعلق به لا يعني أن الإمامية يختلفون عن عامة المسلمين بخصوص النصوص الشرعية، بل إن الأساس

واحد، لكن ولأن الكلام عن النص الإمامي بالخصوص، لذا سنقصر الكلام عليه وعلى كونه جزءاً مهماً من المنظومة الإسلامية.

(٢) الثانية: تركيز البحث سيكون على النص الإمامي، وذلك حتى يتبين مدى تعامل الحداثيين العرب، ونسبة وكيفية وطبيعة وجوده وحضوره عندهم، وطرق التعامل معه.

هاتان الملاحظتان مهمتان جداً في تحديد مسار البحث عن النص الإمامي، وتعامل الحداثيين العرب معه سلباً أو إيجاباً، مع بيان كيفية وطبيعة وطرق التعامل معه، مع الاستشهاد على ذلك بنصوص من كتاباتهم، ومن أطروحاتهم، ومن مشاريعهم النقدية الحداثية.

يرى البحث بأن النص الإمامي يُقسم، من حيث التنوع والتعدد، أو من حيث التراث الإمامي إلى قسمين مهمين هما:

المطلب الأول: تقسيمات النّصّ الإمامي:

إن كلامنا في هذا المطلب سيكون حول تقسيمات النص الإمامي عموماً، وما يتعلق بتعامل الحداثيين العرب معه.

(١) النص المعصوم:

وهو الأخص، فإن هذا النص يشمل القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ـعند عموم المسلمينـ وكذلك يشمل روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام ـعند الشيعة الإمامية الإثني عشريةـ الذين هم عِدل القرآن الكريم، بنص آيات قرآنية، وبنص حديث الثقلين، وأحاديث نبوية أخرى.

لذا فإن النص المعصوم، ومن هذه الدراسة فإنه يشمل ـكما أسلف البحثـ على ما يلي:

(أ) نص القرآن الكريم:

ويقصد به القرآن الكريم، والمتحدث به الذي ثبت من عند الله تعالى أنه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[1]. وهو الرسول الأكرم محمدﷺ، وما ثبت له ما قد ثبت للرسول ما عدا المختصات[2].

إن القرآن الكريم هو أصدق مرجع، وأصح مصدر يرجع إليه في تقنين القوانين، واستخراج الأصول، وذلك لأن اللغة العربية لم تشهد كتاباً أحيط بالعناية، واكتنف بالرعاية منذ زمن مبكر، فحوفظ على تراكيبه، وأحصيت كلماته وحروفه، وكيفية ترتيله بلهجاته، مع إتقان متناهٍ في التلقين، ودقة بالغة في الأخذ والأداء مثل القرآن الكريم[3]. والشواهد على ذلك كثيرة، منها وأهمها بقاؤه المصدر الأول والمقدَّم على غيره في التشريع، وفي ترتيب المصادر، فهو الأساس والمقياس، وهو المرجع.

ثم إنّ القرآن الكريم قطعيّ الصدور، يتسم بأنه معجز، فهو كلام الله سبحانه وتعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، له خصائص كثيرة متعددة أهمها أنه معصوم؛ لأنه كلام الله سبحانه وتعالى.

---

(١) سورة النجم، الآيات (٣ـ٤).

(٢) ظ: في المنهج المعصوم والنص، الشيخ حسين كوراني، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ: ١٦٥.

(٣) ظ: مدرسة الكوفة ونهجها في دراسة اللغة والنحو، مهدي المخزومي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة ـ مصر، ط٢، ١٩٥٨م: ٥١.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**كُلُّ شَيْءٍ مَرْدُودٌ إِلَى كِتَابِ اَللهِ وَ اَلسُّنَّةِ وَ كُلُّ حَدِيثٍ لاَ يُوَافِقُ كِتَابَ اَللهِ فَهُوَ زُخْرُفٌ**»(١).

(ب) نص النبي والإمام عليهما السلام:

أي: كلام الشخص المعصوم، وهو النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ومن بعده الإمام المعصوم عليه السلام.

إن نص المعصوم إسلامياً لا يشمل إلا النبي صلى الله عليه وآله وفي وقت التبليغ أو التشريع، أما عند الشيعة الإمامية فهو أوسع دائرة مما هو عليه في مدارس أبناء العامة.

ونص المعصوم هو ما يسمى بالسنة، التي قد عرّفها الشيخ عبد الله المامقاني (ت١٣٥١هـ) بأنها: (قول من لا يجوز عليه الكذب والخطأ، وفعله وتقريره، غير قرآن ولا عادي، وما يحكي أحد الثلاثة يسمى: خبراً، وحديثاً)(٢).

إن المراد بها ـ هنا ـ ما صدر عن الرسول صلى الله عليه وآله من قول أو فعل أو تقرير فقالوا: ثبت هذا الحكم بالسنة لا بالكتاب، وعليه فإن السنة عند الأصوليين دليل من أدلة الأحكام، وعند الفقهاء حكم شرعي يثبت للفعل بالدليل(٣).

إن نص المعصوم يشمل حديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وحديث الأئمة الإثني عشر المعصومين عليهم السلام.

---

(١) الكافي، الكليني: ١: ٦٩.

(٢) مقباس الهداية في علم الدراية، عبد الله المامقاني، تحقيق: محمد المامقاني، مطبعة نكارش، قم ـ إيران، ط٢، ١٣٩٣هـ: ١: ٥٩.

(٣) ظ: المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، حسن الربيعي، المكتبة القانونية، النجف الأشرف ـ العراق، ط١، ٢٠٠٩م: ٤٠.

(٢) النص غير المعصوم:

يرى البحث بأنه يراد به مطلق باقي النصوص في مدرسة الشيعة الإمامية الإثني عشرية، وعلى جميع مستويات العلم، والكتابة والتأليف، فالعالم مهما بلغ من مراتب العلم، والاحترام، لكنه لن يكون معصوماً، ونصه ليس بالنص المعصوم.

إن المراد بالنص غير المعصوم هو النص البشري القائم على فهم متلقيه للقرآن الكريم، وللسنة النبوية المباركة، ولأحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام.

فإن النص غير المعصوم يشمل: القيم، الآداب، الصناعات، المنجزات، التفسيرات، الشروح، وكل ما ورثناه من أسلافنا، وكل ما جُمع تحت مصطلح (تراث)، فهو أعم من النص المعصوم، وأفراده متكثرة ومتعددة، وهو أكثر من حيث العدد، وهو من وقع فيه الخلط، إذ قد خلط بعضهم بينه وبين النص المعصوم، أو ساوى بعضهم ما بينه وبين النص المعصوم.

إن النص غير المعصوم له أقسام، ومن المهم معرفتها، أو معرفة أشهرها، فهذا النص يشمل:

(أ) نصوص العلماء:

وهي تدخل ضمن الموارد الإبداعية من جانب، والاجتهادية من جانب آخر، إذ قد حاول علماء الإمامية، ومنذ نزول القرآن الكريم، وتلقيهم لأحاديث النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله، وأحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام إلى وضع أسس وقواعد لفهم هذه النصوص، مع ملاحظة أن هناك اتفاقاً في مسألة السعي إلى وضع القواعد، لكن لا بدّ من الإشارة إلى وقوع الاختلاف في كيفية التلقي، والتفسير، والإيصال.

علماً بأنه ما من كلام، أو تفسير، أو تأويل لأي آية قرآنية من قبل العلماء والمفسرين الشيعة، إلا وله مرجعية روائية، لأحد الروايات الواردة عن النبي الأكرمﷺ، أو لأحد أئمة أهل بيت العصمةعليهم السلام، فيعمل العالم، والمفسر، والكلامي على مواءمتها مع الخطوط الأساسية لدلالتها، حتى لا تخرج عن أساسها[1].

(ب) نصوص الأدباء:

وهي النصوص الأدبية عموماً، أو النصوص الفكرية، أو التي تدخل ضمن المدار الثقافي بحسب فهمه الحديث، وهذه النصوص قد تُفسر من متلقيها بحسبهم، وبحسب ما لديهم من علم.

وهو لا يدخل في الاجتهاد كما في (نصوص العلماء)، بل هو تلقٍ أكثر تساهلاً، وتفسيره متماهٍ ومتماشٍ مع الواقع المعاش، وإيصاله هو بحسب المراد أو المطلوب[2]. ويطلق على النصوص العامة التي توصل معلومات معينة (عامة) بنصوص الأدباء، فالأديب هو من يمتلك معلومات شتى من علوم شتى، يكتب عنها لإيصالها إلى المجتمع، الهدف من ذلك نقد، أو تقويم، أو تثقيف، ولا تخلو من نصوص المدعين لذلك، أي ممن يدعي بأنه من الأدباء.

(ج) نصوص عامة (تراثية):

وهي إما معروفة المؤلف، أو مجهولته، وهي كثيرة جداً، قد تكون لأناس

(١) ظ: مناهج المتكلمين في فهم النص القرآني، ستار جبر الأعرجي، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، كربلاء ـ العراق، ط١، ٢٠١٩م: ١٧٣.

(٢) ظ: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، محمد زكي العشماوي، دار النهضة العربية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٨٤م: ٣٧.

منحرفين أو لفرق منحرفة، أو تكون لمدعي الإسلام، أو لمدعي التشيع، وقد تكون كتب منسوبة في حين هي بعيدة كل البعد عن واقع ما نُسبت له، ككتاب (دبستان مذاهب) على سبيل المثال، وما شاكله من كتب وكتابات أخرى.

كذلك يشمل كتابات الفرق المغالية، والكتابات الأسطورية (الغنوصية)، والكتابات الاجتماعية، والقصص الشعبية، والفلكلور والميثولوجيا وما شاكل ذلك.

(٣) وقفتان مهمتان:

لا بد ـ هنا ـ من وقفتين مهمتين، هما:

(أ) الوقفة الأولى:

إن تعامل الحداثيين العرب مع النص الإمامي كان على نوعين، الأول هو من حيث تمثلاته القرآنية والحديثية، والآخر هو التعامل مع نصوص العلماء، ونصوص الأدباء، والنصوص التراثية العامة.

(ب) الوقفة الثانية:

جاء الحداثيون العرب بكل الأقوال الشاذة، والمنحرفة، والمُحرفة، فنسبوها إلى النص الإمامي الأصلي والأساسي، وعلى أنه فكر وتراث ونص إمامي.

إن هذا ما لا بدّ من توضيحه، حتى يعرف ما هو مدار البحث، وكيف انتقد الحداثيون العرب النص الإمامي، ولماذا انتقدوه، وأسباب ذلك، وأين وقع الخلل، وما التخطيط الإيديولوجي وراء ذلك، وما التهم التي وجهوها له.

المطلب الثاني: طرق تعامل الحداثيين العرب مع النص الإمامي:

هناك طرق للتعامل مع النص الإمامي من الحداثيين العرب، ومن هذه الطرق:

(١) الإقصاء:

إن طريقة الإقصاء كانت من أول وأهم طرق التعامل مع النص الإمامي من الحداثيين العرب.

فنجد بأن محاولات جملة من الحداثيين العرب لا تقف عند حدٍ معين، بل قد واصلت سعيها، وجهادها الحثيث لطرد الشيعة من دائرة الإسلام[١].

فإن من أشهر الحداثيين العرب الذين تعاملوا بمنطق الإقصاء مع الإمامية هو محمد أركون، ومحمد عابد الجابري، فمحمد عابد الجابري، ذلك أنه قد وضع مشروعه بالأساس، أو ضمن أساسياته، هو نقد الفكر الشيعي الإمامي، وانتقاد النص الإمامي، ذلك أن مشروعه برز في فترة الحرب العراقية الإيرانية، ومع أجندة محاربة الوجود الشيعي الإيراني، وإظهاره على أنه خطر يهدد الشرق الأوسط، أو يهدد الوطن العربي.

ونجد الإقصاء واضحاً جداً ـ كذلك ـ عند عبد المجيد الشرفي عندما يصف

(١) ظ: كفى ثقافة طائفية ومثقفون طائفيون، إدريس هاني، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٩م: ١٦.

الشيعة بـ(الملالي)[1]، أو يصف تراثهم بغير المثالي[2]، أو يصفهم بالمتمردين[3].

إن هذا الطرح الذي يطرحه عبد المجيد الشرفي ـ على سبيل المثال ـ نابعٌ عن حس طائفي كبير، يتجاوز العلم والمعرفة، وليس هو من الطرح الموضوعي بشيء، ولا يمت إلى التطور والتقدم بصلة.

ثم إن الأمثلة على الإقصاء كثيرة عند الحداثيين العرب في تعاملهم مع النص الإمامي، وسيكون للبحث وقفات أكثر حول ذلك، وذلك في التطبيقات الإجرائية لتعاملات الحداثيين العرب مع النص الإمامي.

إن من طرق التعامل الحداثي الإقصائي مع النص الإمامي هو التهميش، وقد مارسه جملة من الحداثيين العرب تجاه النص الإمامي.

يقول الأستاذ محمود إسماعيل: (فالفكر الشيعي ظل مهمشاً ومستبعداً في منظور المفكرين السنة على الرغم من تراثه النضالي والفكري، وتبنيه قضية العدل الاجتماعي)[4].

نعم، إن النص الإمامي بقي مهمشاً في كثيرٍ من العلوم، ذلك أن السلطة الحاكمة نفسها قد همشت جميع النصوص الإمامية لغايات سياسية، ودينية، وفئوية، وقد مارست الحصار على النصوص الشيعية الإمامية، ومنعت

(١) ظ: تحديث الفكر الإسلامي، عبد المجيد الشرفي، دار المدار الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٩م: ٧.

(٢) ظ: تحديث الفكر الإسلامي، عبد المجيد الشرفي: ٣١.

(٣) ظ: تحديث الفكر الإسلامي، عبد المجيد الشرفي: ٨٢.

(٤) الفكر الإسلامي الحديث بين السلفيين والمجددين، محمود إسماعيل، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، ط١، ٢٠٠٦م: ١٧ـ١٨.

تدوينها، وذلك ما قد أُستُفيض الكلام فيه في كتب تاريخ التدوين عموماً، وتدوين الحديث الشريف خصوصاً.

(٢) القبول:

إن هذا النوع من القبول هو إما قبول مصلحي، وإما قبول طائفي مؤدلج، وليس هو بالقبول العلمي القائمً على الأدلة العلمية أو المعرفية، أو على الطرح الموضوعي المعزز بالأدلة الحقيقية، بل إن السفسطة والمغالطة كانت من ميزاته.

يقول فهمي هويدي: (إذا حدث التعارض بين النصوص، وبين أيّ من مصالح الناس المعتبرة فلا مجال لتطبيق الأولى، وتغلب المصلحة على النص في الثانية)[١].

هذا هو ديدن الحداثيين العرب في تعاملاتهم مع النصوص عموماً، ومع النص الإمامي خصوصاً، فضلا عن موارد أخرى كثيرة من موارد القبول، التي كانت لأسباب مصلحية، أو طائفية.

(٣) الانتقائية:

إن الانتقائية (Eclecticism): مذهب فكري لا يلتزم بأي إطار محدد، ولا بأمور معينة من الأفكار، بل هو يُستمد من نظريات وأنماط وأفكار مختلفة، وذلك من أجل إعطاء نظرية تكاملية عن الموضوع[٢]. تتحكم بها النفعية والمصلحية.

إن الانتقائية أو التعامل الانتقائي كان أحد الطرق التي اتبعها الحداثيون

(١) التدين المنقوص، فهمي هويدي، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٩٤م: ١٧٦.

(٢) ينظر: موقع المعرفة، www.marefa.org

العرب مع النصوص عموماً، ومع النص الإمامي خصوصاً.

فالحداثيون العرب مع لجوئهم لذلك، فـ(أنهم لجأوا إلى هذا الفكر يبحثون فيه ينتقون منه ما يوافق رغباتهم بعد تشكل وتكون مواقفهم، وعند وجود ما يخالفها في الفكر الشيعي تجدهم يرفضون هذا الفكر ويناصبوه العداء، خاصة بعد الثورة الإسلامية في إيران وتوليها الحكم هناك، فكانوا من أشد المعارضين والنابذين لهذا الخطاب)[1].

فكانت انتقائية إيديولوجية بامتياز، بعيدة كل البعد عن أيّ طرح علمي، وبعيدة عن الموضوعية.

لذلك فإن التعامل مع النص الإمامي من الحداثيين العرب كان على رأسه التعامل الانتقائي، ذلك أن الانتقائية ـ في ذاتها ـ لا تلتزم بأي إطار، ولا بأي أساسيات، بل تتعامل وفق دافع نفعي ومصلحي بامتياز.

إن الحداثيين العرب ينظرون في النصوص، ثم ينتقون منها ما يوافق أهواءهم، وما يوافق أفكارهم ونظرياتهم، وهو منهج متبع عندهم[2].

نعم، فإن النفعية والمصلحية هي الحاكمة عندهم، أما ادعاؤهم العلمية أو الموضوعية، فما هو إلا تنظيرٌ خالٍ من التطبيق، بل بعيد كل البعد عن الواقع، وما هو إلا كلامٌ لا يمت إلى الموجود في كتاباتهم بصلةٍ مطلقاً.

علماً بأن الحداثي الذي يمقت التكفير في أطروحاته ـ ادعاءً وليس

(١) الحداثة وموقفها من السنة النبوية، الحارث فخري عيسى عبد الله: ٦٨.

(٢) ظ: الاتجاهات العقلانية الحديثة، ناصر بن عبد الكريم العقل، دار الفضيلة، الرياض ـ المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ: ٢٣٥.

حقيقة- ويعده شيئاً لا حضارياً، نجده يمارس التكفير بطريقته الخاصة، أو التكفير بطريقة حداثية تجاه الآخرين، وذلك ما نجده عند تكفيرهم للشيعة الإمامية، بطريقة حداثوية ناعمة، وبالخصوص طرحهم المموه بالعبارات الناقدة المتضمنة لتكفير الإمامية، بهدف إخراجهم عن دائرة الإسلام، تأثراً بماضيهم، أو من أجل مصالحهم، أو بسبب جهلهم.

(٤) الاتهام:

إن من طرق التعامل الحداثي مع النص الإمامي هو الاتهام، ذلك أن التهم التي وجهت للنص الإمامي كثيرة جداً منها:

(أ) تهمة الباطنية:

(ب) تهمة الهرمسية:

(ج) تهمة اللامعقول:

وهذا ما سيتم بيانه وتوضيحه في المطلب الآتي.

المطلب الثالث: محمد أركون سيرته والمؤثرات الفكرية عليه وسمات مشروعه:

أولاً: محمد أركون سيرة مقتضبة:

ولد محمد أركون في قرية صغيرة وبعيدة معلّقة على سفح جبل (الجرجورة) في منطقة القبائل الكبرى في الجزائر تدعى (تاوريرت ميمون)، وذلك عام

(١٩٣٨م) في عائلة بربرية[١]. فليس هناك أي مائز يميز الأسرة، أو يميز شخص محمد أركون، فلا توجد أي علامات فارقة تذكر، فأبوه رجل بسيط كان يملك دكاناً لبيع البضائع في منطقة (عين العرب) القريبة من مدينة وهران، وأمه كانت تمارس الطقوس الدينية وفقاً لتصوراتها الخاصة[٢]. يقول محمد أركون: (فأمي وأخواتي وعماتي لا يعرفن العربية ولا الفرنسية، مثلهن في ذلك مثل الكثيرات من الجزائريات والمغربيات)[٣].

درس محمد أركون دراسته الابتدائية في ولاية (عين تموشنت)، ثم واصل دراسته الثانوية في وهران لدى (الآباء البيض) التبشيرية المسيحية، ثم درس الأدب العربي، والقانون، والفلسفة، والجغرافيا بجامعة الجزائر، ثم بتدخل من المستشرق الفرنسي (لويس ماسينيون) قام بإعداد (التبريز)[٤] في اللغة والآداب العربية في جامعة السوربون في باريس، ثم اهتم بفكر المؤرخ والفيلسوف (مسكويه) الذي كان موضوع أطروحته.

إن أسرة محمد أركون حالها حال كثير من الأسر التي تعيش في الجزائر إذ لم تنفتح على أكثر من اللغة الأمازيغية، مما ألقى بظلاله عليه على شتى الأصعدة، وعلى رأسها الشعور بالإقصاء والأقلية. فلقد ولد في أسرة بربرية قروية لم تعش الدين وعياً، بل عاشته طقوساً وخرافات، ولم تكن ـ أسرته ـ

(١) ظ: التراث والمنهج بين أركون والجابري، نايلة أبي نادر: ٤٥١، والقراءة الأركونية للقرآن، أحمد فاضل السعدي: ٢٣.

(٢) ظ: العقل الإسلامي أمام تراث عصر الأنوار في الغرب، رون هاليبر: ١٦٧.

(٣) ظ: الإسلام ـ أوربا ـ الغرب، محمد أركون: ١٢٢.

(٤) التبريز: شهادة فرنسية بامتياز، والتي يجب للحصول عليها اجتياز اختبار التخرج بالفرنسية، ومن شروطها الحصول على ماستر، أو ما يعادلها، بعد الحصول عليها يصبح أستاذاً مبرزاً.

على اتصال بالآخرين عبر اللغة العربية، وإنما اقتصرت على اللغة الأمازيغية التي يتكلم بها البربر[١].

لقد كان تكون شخصية محمد أركون وبناؤه الفكري حصيلة أزمات متعددة كما يذكرها بعض الكُتاب هي[٢]: أزمة الأقليّة، أزمة الحماية، أزمة اللغة، أزمة الثقافة الشفوية، أزمة الشرقية، أزمة الجبهة الداخلية، أزمة حجاب المعاصرة، أزمة التجديد.

إن هذه الأزمات جعلت منه مادة للتصنيف المتناقض فهو: مسلم ليبرالي، مسلم معتدل، مسلم أصولي، مسلم متزمت[٣]، اتهمه بعض المثقفين في أوربا والغرب بالأصولية، فيما قُذف في الشرق بالهرطقة[٤].

درس محمد أركون في مقتبل حياته في مدارس فرنسية علمانية تعتمد البرنامج التعليمي المطبق في فرنسا، وهو في مراحل حياته الأولى. ومن الطبيعي أن ينعكس ذلك الانفتاح في سني عمره المبكرة على مساره الفكري. دخل الجامعة في عاصمة الجزائر، و كان الطالب المتمرد الذي كان له موقف من فكر طه حسين متهماً إياه بمماشاة الإسلامية.

إن محمد أركون يعتمد تضخيم الشخصية (شخصيته)؛ إذ يَعُدّ دروسه في تاريخ الفكر الإسلامي والانثروبولوجيا الدينية مهمة جداً، وإنها لو ألقيت

(١) ظ: القراءة الأركونية للقرآن، أحمد فاضل السعدي: ٣٥٦.

(٢) ظ: القراءة الأركونية للقرآن، أحمد فاضل السعدي: ٢٨ـ٣٥.

(٣) ظ: قضايا في نقد العقل الديني، محمد أركون: ٢٢.

(٤) ظ: رون هاليبر، مصدر سابق: ١١.

في الجامعات العربية لحصل ما حصل[1]، لكنه لم يبين بالدقة ما الذي سيحصل!؟

وانه يتألم عندما يتحدث عن كتاب الأيام ـ لطه حسين الذي شرح فيه حياته ـ وكيف أنه قوبل بالاستقبال والحفاوة، في حين رواية مولود معمري التي تتعرض لحياة أركون لم تحظ بالاهتمام[2].

إن محمد أركون يدعي بأن مشروعه هو الوحيد الذي له القدرة على تغيير واقع المجتمعات الإسلامية. هذا زيادة على انّه يصور نفسه وكأنه المنقذ والمحرر بحيث يصلح أن يصبح فكره نوعاً من الإيديولوجيا، تلك الإيديولوجيا التي طالما رفضها هو من غيره.

محمد أركون يصور مشروعه وكأنه يكشف عن جديد لم يأت به أيّ مشروع آخر فيقول: لم يعتد مؤرخ الفكر على أن يجمع بين كل هذه الاهتمامات، ويفتتح كل هذه المنظورات، ويتابع كل هذه المهمات في الحركة الواحدة نفسها من الفكر والكتابة[3].

لقد كانت وفاة محمد أركون في يوم ١٤ ايلول ٢٠١٠ ميلادي عن عمر ناهز ٨٢ عاماً بعد معاناة مع المرض في باريس، ودفن بعدها في المغرب، فكانت نهايته نهاية لمشروع أراده كأيديولوجيا تُتبع، وكمسار يحتذى به، ولا ننكر مقدار المتأثرين به في حياته وبعد مماته، حتى إنه قد كتبت العديد من الكتب

(١) ظ: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، محمد أركون: ٢٩٤.
(٢) ظ: الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، هاشم صالح: ٢٥٠.
(٣) ظ: تاريخية الفكر العربي الإسلامي، محمد أركون: ١١.

ورسائل والماجستير وأطاريح الدكتوراه عنه، وما ذلك إلا تضخيم لا داعي له، وبكاء على الأطلال، وهروب، ومعاندة بعيدة كلّ البعد عن المعرفة.

ثانياً: محمد أركون وسط التيارات الفكرية والثقافية:

لقد تأثر محمد أركون في بدايات حركته الثقافية والفكرية بمدرسة الحوليات، زيادة على ذلك كانت مدرسة (الأنال) هي الأخرى قد طبعت ثقافته وفكره بطابعها الخاص.

كان محمد أركون قد اكتشف مدرسة (الأنال) في فرنسا، وكان من أعمدتها: فرنان بروديل، وليفي ستراوس وباحثون آخرون[١]. وتأتي منهجية الألسنيات في المرتبة اللاحقة من حيث الترتيب الزمني. وكانت هذه المنهجية صاعدة بقوة في الستينات مع أسماء سوسير وجاكبسون وبنفنست وغيرهم.

إن هذه الانفتاحات على مدارس متنوعة ومتناقضة في نفس الوقت خلقت ضبابية وظلمانية داكنة تجاه فكره وانتمائه[٢].

ثالثاً: سمات مشروع محمد أركون

لقد تميز مشروع محمد أركون بسمات منها:

(١) نقد الجذور الفكرية المهيمنة[٣].

(٢) إعادة قراءة الإسلام وفقاً للمناهج المتبعة في الغرب. إذ يتصور محمد أركون أن الخروج من تهميش الإسلام يتحقق عبر تطبيق منهجيات علوم

(١) ظ: رون هاليبر، مصدر سابق: ١٦٩.

(٢) ظ: أحمد فاضل السعدي، مصدر سابق: ٤١.

(٣) ظ: رون هاليبر، مصدر سابق: ٢٣٦.

الاجتماع وعلم الألسنيات وغيرها مما ابتدعها الفكر الغربي.

(٣) عرض الإسلام للغربيين بصورة أخرى تتسم بالطابع الروحي بعيداً عن الجانب الطقوس الذي يَعُدّه اركون من صنيعة الفقهاء[١].

إن محمد أركون بدأ مشروعه بنقد العقل ليصل إلى نقد القرآن مروراً بنقد التراث، وقد آمن إيماناً لا رجعة فيه بضرورة إعادة قراءة التراث، وهو ما أكده في أكثر من موقع، وفي أكثر من كتاب أو لقاء، فالمسلمون عنده لا يمكن أن يتحرروا فعلاً إلا إذا قاموا بنقد تراثهم[٢].

يعتمد محمد أركون أسلوب الغموض في العرض والتعمية في المصطلحات والتهرب من الأجوبة. فمن الصعب أن تفهم ما يريد إلا بشق الأنفس، وقد يستعمل مصطلحات لا تدري ماذا يريد منها على نحو الدقة، فمثلاً العلمانية يطلقها ويريد منها معنى، ويطلقها أخرى ويريد معنى آخر[٣].

إن مشكلة أركون هي الخلط بين النظرية وبعض التطبيقات الخاطئة، فلماذا لا يرفض أركون العلمانية التي شابها في عالم التطبيق ما جعلها موضع رفض لدى بعض الشعوب التي عاشت هذه التجربة، في قبال أنه يُحمّل الإسلام كلّه تبعات ممارسات بعضهم[٤].

يمكن التنويه إلى خارطة التأثرات لدى محمد أركون عبر التنويه إلى ثلاثة

(١) ظ: احمد فاضل السعدي، مصدر سابق: ٥٤.

(٢) ظ: تاريخية الفكر العربي الإسلامي، محمد اركون: ١٣٨.

(٣) ظ: القراءة الأركونية للقرآن، السعدي: ٣٦٤.

(٤) ظ: القراءة الأركونية للقرآن، السعدي: ٣٦٦.

خطوط بيانية فيها هي:

(١) عربيا: فقد تأثر بكتابات وآراء: رفاعة الطهطاوي، أمين الخولي، طه حسين، محمد أحمد خلف الله، نصر حامد أبو زيد، صادق جلال العظم، وغيرهم.

(٢) أوربياً: فقد تأثر بكتابات وآراء: لوسيان فيفر، دي سوسير، جاكبسون، إميل بنفنست، هابرماس، ميشيل فوكو، بول ريكور، هايدجر، سبينوزا، ديكارت، ريتشارد سيمون، جان أوستريك، فولتير، لسنج، هردر، ليفي ستراوس، جاك غودي، بير بورديو، جاك دريدا، جيل دولوز، هوسرل، بيير بورديو، ورولان بارت، وميرسيا إيلياد وغيرهم.

(٣) إستشراقياً: فقد تأثر بكتابات وآراء: غوستاف فايل، لويس ماسينيون، إدوارد سيل، نولدكه، ريجيس بلاشير، برجشتراسر، سباير جريفنا، روبنسون، شيفالي، بيل، وغيرهم.

(٤) تاريخياً: وعلى المستوى التاريخي -وهو التاريخ العربي- فيمكن أن نعد (أبا حيان التوحيدي)، و(مسكويه)، و(ابن خلدون)، أبرز من تأثر بهم.

المبحث الثاني: الانتقائية والإقصائية عند محمد أركون في تعامله مع النصوص الإمامية:

المطلب الأول: الانتقائية في التعامل مع النص الإمامي:

لا يمكن إنكار التعامل الانتقائي للحداثيين العرب مع النص الإمامي، وبالخصوص ـ هنا ـ تعامل محمد أركون، لذلك لا بدّ للبحث من أن يقف عند هذا النوع من التعامل.

إن دراسات محمد أركون بأجمعها هي دراسات انتقائية تصب في خدمة أهدافه وغاياته قبل أن تستند إلى مصادر، أو دراسات، أو آراء، أو نظريات[1].

وهذا ما يجب الإشارة إليه، وهو من الأمور المهمة جداً؛ وذلك لمعرفة طريقة محمد أركون في التعامل مع النصوص، وطريقته في الطرح أو التأويل.

إن ما يؤكد على انتقائية محمد أركون هو قوله: (من المعلوم أن كل التراث التفسيري للقرآن يحيلنا إلى الطبري وتلامذته بصفتهم هيبة معرفية عُليا لا مفر منها، ولا يمكن تجاوزها بالنسبة للتراث السني. والشيعة يفعلون نفس الشيء عندما يرجعون إلى هيبة عُليا للتفسير كالكليني الذي مات عام ٩٤٠ ميلادية، والذي كان معاصراً للطبري تقريباً، لأن هذا الأخير مات عام ٩٢٣ ميلادية)[2].

(١) القراءة الأركونية للقرآن، السعدي: ٤٧٠.

(٢) نحو نقد العقل الإسلامي، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٩م: ٨٥.

وما ذلك إلا خلطٌ واضحٌ عند محمد أركون ما بين الطبري (ت٣١٠هـ)، والكليني (ت٣٢٩هـ)، وما بين علم التفسير وعلم الحديث، فكتاب الطبري (جامع البيان) كتاب تفسير، وكتاب الكليني (الكافي) كتاب حديث.

إن كتاب (الكافي) لمحمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت٣٢٩هـ)، كتاب حديث، فالكليني هو من محدثي الشيعة، إذ عمل على جمع الأحاديث، فاختص بعلم الحديث وما يتعلق به.

أما كون الطبري هيبة معرفية عُليا عند أهل السنة وأبناء العامة، فذلك تقييم خاص عند أركون فقط، ومعروف ما حل به، ومعضلته، وما جرى عليه من أبناء العامة، فضلا عن خلط اركون في جعل الطبري زيدياً.

أما الكتاب الذي يعد هيبة عُليا في الحديث عند أبناء العامة، فهو كتاب (الجامع الصحيح) للبخاري (ت٢٥٦هـ)، وليس تفسير الطبري.

أما بالنسبة للشيعة فإن هناك كتباً خاصة بالتفسير معروفة، ومشهورة عندهم كتفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام (ت٢٦٠هـ)، وتفسير القمي (ت٣٠٧هـ)، وتفسير العياشي (ت٣٢٩هـ)، وتفسير النعماني (ت٣٦٠هـ)، إلى غير ذلك من التفاسير الكاملة، أو المختصرة، أو المجتزأة، وعند جميع فرق الشيعة عموماً، وعند الإمامية الإثني عشرية خصوصاً.

إن محمد أركون يقول بتعدد تدوين القرآن الكريم، وكتابته وأنه ـ بحسب زعمه ـ لم يستقر على مصحف جامع، أو نسخة موحدة أخيرة إلا في القرن الرابع الهجري.

فهو يقول بأن القرآن الكريم قد (ثبت حرفياً، أو كتابياً بعد القرن الرابع

الهجري/ العاشر الميلادي)[1].

إن هذا القول، وهذا الزعم؛ مبنيٌ على أقوال المستشرقين الذين قد تأثر بهم محمد اركون.

ويمكن القول ـ جزماً ـ بأن الاستشراق يمثل خلفية معرفية مهمة لمحمد أركون، ومورد استمداد رئيسي؛ لأنه درس في معهد الاستشراق في السوربون، وإن جلّ أساتذته كانوا من المستشرقين[2].

إن من جملة المستشرقين الذين تأثر بهم محمد أركون، أو الأبرز عليه وعلى أفكاره هم:

(١) تيودور نولدكه (١٨٣٦ـ١٩٣٠م).

(٢) اجانتس جولدتسيهر (١٨٥٠ـ١٩٣١م).

(٣) لويس ماسينيون (١٨٨٣ـ١٩٦٢م).

(٤) شارل بيلا (١٩١٤ـ١٩٩٣م).

(٥) جاك بيرك (١٩١٠ـ١٩٩٥م).

كذلك فإن محمد أركون ينتقد العقلانية التي انتجتها العقول المتكثرة والمتغيرة ـ بحسب تعبيره ـ ومنها: العقل الشيعي، والعقل المعتزلي، والعقل

(١) قراءات في القرآن، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٧م: ١٥٢.

(٢) ظ: أثر الاستشراق في الفهم الحداثي لمباحث تاريخ القرآن وعلومه، كاظم جواد الحكيم، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العتبة العباسية المقدسة، ط١، ٢٠١٢م: ٥٧.

الأشعري، والعقل الفلسفي، والعقل العرفاني[1].

إن محمد أركون حوّل النصوص إلى عقول! فما يريد بذلك؟ وما هو هدفه؟

من التدقيق في كتابات محمد أركون يتبين بأن مراده من العقل هو (التغير المستمر، فهو ليس جوهراً ثابتاً... فقد عرف أركون العقل بأنه المسؤول عن تركيب المعاني وإنتاج المنظومات، فيُفهم منه أن العملية النقدية ستتجه لكل ما أفرزه المسلمون، وإذا كان كذلك، فما أنتجه الفكر الإسلامي قابل للنقد والتجديد، وقد حصل ذلك في علوم القرآن والأصول والحديث وغيرهما، فما هو الجديد الذي يقصده أركون؟! يظهر أن قصد أركون هو نقد النص القرآني نفسه)[2].

يمكن للباحث أن يقول بأن العقل ـ بالأساس ـ عند أركون هو ما أنتجه العقل، أي هو (الفكر) أو (النص)، ومن ثم فإن النقد الموجه لما يسمى بالعقل عند أركون هو موجه للفكر أو للنص، وبالدقة فإنه موجه للنص عموماً، وللنص القرآني خصوصاً، وهذا واضح جداً من كتاباته وأطروحاته.

محمد أركون يرفض كل ما هو قديم ـ ومن ذلك النصوص ـ بكل ما فيها من مسلمات، ودوغمائيات، وإسقاطات، وتقديسات بحسب متبنياته وأطروحاته[3].

فيوجه أدوات ومناهج نقده للنصوص، وبالخصوص للنصوص القرآنية، لأن هدفه هو نقد كل ما هو قديم.

(١) ظ: محمد أركون: دراسة النظريات ونقدها، مجموعة مؤلفين، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، النجف الأشرف ـ العراق، ط١، ٢٠١٩م: ٥٥.

(٢) أثر الاستشراق في الفهم الحداثي، كاظم جواد الحكيم: ٦٤.

(٣) ظ: القراءة الأركونية للقرآن، أحمد فاضل السعدي: ٦٨.

فعن تفسير النص القرآني يقول أركون: (السلسلة المفتوحة من التعليقات والشروح بدءاً من الطبري وجعفر الصادق عليه السلام، مروراً بعشرات المفسرين، وانتهاءً بتلاعبات موريس بوكاي الوهمية)[1].

إن نص أركون يقود إلى تساؤلات عدة هي:

السؤال الأول: من الأسبق؟ الطبري (ت٣١٠هـ)؟ أم الإمام الصادق عليه السلام (ت١٤٨هـ)؟

السؤال الثاني: إن الطبري مفسر، فهل الإمام الصادق عليه السلام مفسر؟ أم إمام مذهب وإمام طائفة؟ أم غير ذلك؟

السؤال الثالث: ما وجه المقارنة بين الطبري (ت٣١٠هـ)، والإمام الصادق (ت١٤٨هـ)، وموريس بوكاي (ت١٩٩٨م)؟

السؤال الرابع: ما دخل التلاعبات الوهمية بالموضوع؟

للجواب المجمل عن كل ما تقدم يقول الباحث: إن هذا الطرح ينمّ عن انتقائية مفرطة، انتقائية تعسفية عند محمد أركون تجاه الإمام الصادق عليه السلام، وما قاله من نصوص تفسيرية، وإن أكبر انتقائية مجحفة أن تقارن نصوص الإمام الصادق عليه السلام التفسيرية بنصوص الطبري، أو بنصوص الطبيب الفرنسي موريس بوكاي، ثم إن كانت نصوص موريس بوكاي وهمية، فما دخل الإمام الصادق عليه السلام بذلك، بل وحتى الطبري.

يمكن للبحث أن يقول بأن كلام محمد أركون تجاه موريس بوكاي ناتج عن

(١) الفكر الإسلامي قراءة علمية، محمد اركون: ١٨٢.

عداوة مسبقة ما بين الاثنين، فجاء ـ هنا ـ ليحشره بهذه المقارنة غير العلمية وغير المنصفة لينتقده.

فإن محمد أركون يقول عن موريس بوكاي: لقد كانت شراسة موريس بوكاي تجاهي تعادل شراسة الحارس الرسمي للصراطي محمد الغزالي[1].

كل ذلك يؤكد ـ مجدداً ـ انتقائية محمد أركون المفرطة، والشديدة، والتعسفية تجاه النص الإمامي وكل ما يتعلق به.

فمحمد أركون قد عدّ (كل التفاسير حول القرآن هي نتاج العقل في القرآن، ولذا درس العقل في القرآن، وبحسب أركون فالعقل المؤسس لمختلف العقول الفرعية داخل الفضاء الإسلامي هو القرآن الكريم)[2].

فإن كل ذلك ينمّ عن انتقائية في التعامل مع النصوص الإسلامية عموماً، ومع النص الإمامي خصوصاً، مع العلم أن التعامل الانتقائي مع النص الإمامي عند أركون هو أقل حدةً منه عند محمد عابد الجابري، إلا أن التعامل الانتقائي مع النصوص يعد من سمات الحداثيين العرب، ومن سمات محمد أركون، وبالخصوص في تعامله مع النص الإمامي، وذلك عبر التعامل معه بوساطة المناهج الحديثة.

فمحمد أركون يريد إعادة قراءة النصوص عبر اخضاعها للمناهج الحديثة أو الحداثية[3].

(١) العقل الإسلامي أمام تراث عصر الأنوار في الغرب: الجهود الفلسفية عند محمد أركون، رون هاليبر: ٢٤٦.

(٢) أثر الاستشراق في الفهم الحداثي، كاظم جواد الحكيم: ٦٤.

(٣) ظ: النص في القرآن بين تأويل القدامى والمحدثين: دراسة تحليلية، نجدب بوعمامة،

من ثمّ فإن الانتقائية قد أوصلت محمد أركون إلى ترجيح القراءة الشاذة على القراءة المتواترة للنص القرآني، وذلك عبر استعماله للمنهج الفيلولوجي في القراءة، تأثراً بالمستشرقين، فكان أن قدّم القراءة الشاذة على القراءة المتواترة[1].

وما هذه إلا انتقائية موضوعة بقالب حديث مبهرج ومزخرف، فيها تسويغ للخطأ على الصواب، وترجيح للشاذ على المتواتر، وهذا ـ عموماً ـ هو ديدن الحداثيين العرب في تعاملاتهم مع النصوص عموماً، ومع النص الإمامي خصوصاً.

إن هذا ليس بالجديد على الحداثيين العرب عموماً، وعلى محمد أركون خصوصاً، فإن التعامل الانتقائي المصلحي، أو الأيديولوجي، هو المقدم على منطق الانصاف أو الوسطية أو الاعتدال عندهم، ذلك أنهم وفي سبيل فرض ما أرادوه فهم يمارسون كل أنواع الممارسات الايديولوجية والانتقائية على النصوص.

المطلب الثاني: الإقصائية في التعامل مع النص الإمامي:

إن محمد أركون حاله حال الحداثيين العرب في ممارسة الإقصاء على النصوص الإسلامية عموماً، وعلى النص الإمامي خصوصاً.

فعن إقصاء المنظومة الحديثية الإمامية، وكتب الحديث الإمامية يقول محمد اركون: وجود كتب حديث خاصة بالشيعة ككتاب الكليني فقط[2].

اطروحة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، كلية الآداب واللغات، ٢٠١٤م: ٤٣٤.

(١) ظ: القراءة الحديثة المعاصرة للقرآن الكريم وأثر الاستشراق فيها، عمر زهير علي، دار العصماء، دمشق ـ سوريا، ط١، ٢٠١٧م: ١٩١.

(٢) ظ: نحو نقد العقل الإسلامي، محمد اركون، ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت

فإن محمد أركون ـ هنا ـ يمارس الإقصاء حتى في تفسير النصوص الإمامية، فهو يقول: (إن الحديث الشهير الذي يقول: اختلاف أمتي رحمة، يعبر بطريقته الخاصة عن فائدة الاختلاف بخصوص أنماط تحيين الموضوعات التي تشكل نهائياً أو أبدياً التركيبة الذهنية للذات الإنسانية)[1].

فقد جاء ـ هنا ـ بتفسير الاختلاف في مدرسة أبناء العامة، ولم يأتِ بتفسير الاختلاف في الحديث المتقدم على وفق المدرسة الإمامية، وما ذلك إلا إقصاء للنص الإمامي عند عمدٍ وعن قصدٍ منه.

قال الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الاختلاف في حديث النبي صلى الله عليه وآله: «**إِنَّمَا أَرَادَ اِخْتِلاَفَهُمْ مِنَ اَلْبُلْدَانِ لاَ اِخْتِلاَفاً فِي دِينِ اَللهِ**»[2].

وهذا الرأي المعبر عن مدرسة الشيعة الإمامية الإثني عشرية لم يأت به محمد أركون مطلقاً، رغم كثرة ذكرة للإمام الصادق عليه السلام، ومقارنته تارة بالطبري، وتارة بآخرين.

ثم يقول: (إن تمثل مفاهيم النبوة والإمامة والنفس والبعث أو النشور في الدار الآخرة داخل موضوعاتية جميع المذاهب الإسلامية يدل على تشكل أفق خاص للمخيال أكثر مما يدل على العقل الديني. إنه يدل على وجود علاقة بين المخيال والعقل في تركيبة الذات الإنسانية)[3].

ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٩م: ١٣٣.

(١) ظ: نحو نقد العقل الإسلامي، محمد اركون: ١٣١.

(٢) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ١٥٧.

(٣) نحو نقد العقل الإسلامي، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٩م: ١٣١.

فهو يصف التفسير الإمامي للنصوص بأنه مخيال[1]، وهذا من العجب العجاب، وهو مجافٍ للحقائق، وللواقع العملي، وللأدلة من النصوص وغيرها.

إن محمد أركون يعتمد على أسلوب الغموض في العرض، والتعمية في طرح المصطلحات، والتهرب من الأجوبة، فمن الصعب أن تفهم ما يريد إلا بشق الأنفس، وقد يستعمل مصطلحات لا تدري ماذا يريد بها على نحو الدقة، فمثلاً العلمانية يطلقها ويريد بها معنى، ويطلقها أخرى ويريد معنى آخر[2].

وبهذه الطريقة هو يمارس عملية الإقصاء للنصوص الإسلامية، وعلى النص الإمامي بشكلٍ خاص، إذ قد أوصل حس الإقصاء عند محمد أركون إلى حد التعسف، وإلى الوقوع في تناقضات كبيرة وكثيرة.

فإن هذا الإقصاء يوضح مدى التناقض عند محمد اركون في كثير من أطروحاته، وأقواله، وأفكاره[3]. ومن ذلك قوله المتقدم من أن التراث الشيعي الإمامي الإثني عشري هو حصيلة (المخيال)، فلماذا لا يكون كل تراث كذلك؟ ولماذا لا تكون أفكار أركون مخيالاً؟

نعم، إن كان المخيال موجوداً، فلا بدّ أن يعمم ليشمل كل أنواع التراث، لكن المخيال قد حدده أصحاب التخصص بأنه يكون في (التراث الشعبي)، و(العادات الاجتماعية) للشعوب، وليس في التراث الديني المدون والمكتوب والمحفوظ.

---

(١) المخيال: أي الأثر الاجتماعي على الأفراد، والمتكون من أمور: رمزية، وتاريخية، وأسطورية. ظ: تأثير المخيال الاجتماعي في الوظائف الاجتماعية للحكاية الشعبية، (بحث)، مجلة جامعة البويرة، الجزائر، ٢٠١٣م.

(٢) القراءة الأركونية للقرآن، أحمد فاضل السعدي: ٣٦٤.

(٣) ظ: محمد أركون: دراسة النظريات ونقدها، مجموعة مؤلفين: ٨٤ـ٨٥.

إن من الممارسات الإقصائية للنص الإمامي عند محمد أركون ما يمكن أن نجده في كتاباته، وأطروحاته، ومن ذلك:

(١) إقصاء رأي الإمامية بشأن القراءات القرآنية:

إن محمد أركون يقول: (ومن المعلوم أن القراءات التي اعترف بها التراث هي سبع، أو أربع عشرة، من حيث سندها. وقد أعلن التراث ـأيضاًـ أنها هي وحدها القراءات الأرثوذكسية، أي الصحيحة، والمستقيمة، وأنها مغلقة ونهائية)[١].

إن محمد أركون يأخذ القول أو الأقوال القائلة بتعدد القراءات، وهي آراء مدارس أبناء العامة، في حين يقصي رأي المدرسة الإمامية، ولا يأتي على ذكرٍ لها.

لذا فإن البحث يريد توضيح الخطأ، لذلك لا بدّ من الإتيان برأي علماء الإمامية للرد على مسألة تعدد القراءات.

يقول السيد الخوئي (قدس سره) عن القراءات: (لقد اختلفت الآراء حول القراءات السبع المشهورة بين الناس، فذهب جمع من علماء أهل السنة إلى تواترها عن النبيﷺ، وربما يُنسب هذا القول إلى المشهور بينهم. ونُقل عن السبكي القول بتواتر القراءات العشر، وأفرط بعضهم فزعم أن من قال أن القراءات السبع لا يلزم فيها التواتر فقوله كفر. ونُسب هذا الرأي إلى مفتي البلاد الاندلسية أبي سعيد فرج ابن لب. والمعروف عند الشيعة أنها غير متواترة، بل القراءات بين ما هو اجتهاد من القارئ وبين ما هو منقول بخبر

(١) الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، محمد اركون، ترجمة: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، الجزائر، دون طبعة، دون تاريخ: ٩٠.

الواحد. واختار هذا القول جماعة من المحققين من علماء أهل السنة. وغير بعيد أن يكون هذا هو المشهور بينهم...وهذا القول هو الصحيح)[1].

لقد استعرض السيد الخوئي الآراء في مسألة القراءات بحسب أقوال علماء المدارس الإسلامية كلها، ولخصها بقول مفيدٍ جداً يسهل على القارئ فهم المسألة عموماً، وبذلك أدى السيد الخوئي (قدس سره) أمانة الطرح العلمي، لينتقل بعدها إلى تفصيلات فيه، وإلى إعطاء الرأي وفق مبناه.

إن السيد الخوئي (قدس سره) في كتابه (البيان) قد قسم الآراء بشأن القراءات إلى رأيين هما:

(١) الرأي الأول: القائل بتواتر القراءات[2]:

فلقد وصل الإفراط عند بعضهم إلى تكفير من لا يقول بتواتر القراءات، وبذلك فإنهم يضفون عليها تقديساً يصل إلى حد الإفراط.

(٢) الرأي الثاني: القائل بعدم تواتر القراءات:

يعدّ أصحاب هذا الرأي القراءات إما اجتهاد من القارئ، أو أنها خبر آحاد. على أن نفرق ما بين (القرآن) وما بين (القراءات)، فالقرآن الكريم شيء، والقراءات شيءٌ آخر. وهذا القول قال به مفسرو الإمامية[3]، وتابعهم على

(١) البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الخوئي، دار الثقلين للطباعة والنشر، طهران- إيران، ط٦، ١٤٢٩هـ: ١٢٣.

(٢) ظ: البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الخوئي: ١٢٣.

(٣) ظ: التبيان، الطوسي، مصدر سابق: ١: ٧، ومجمع البيان، الطبرسي، مصدر سابق: ١: ٣٨، وكنز الدقائق، المشهدي، مصدر سابق: ١: ٤٣٢، والميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، مصدر سابق: ١٣: ٣٧٦.

ذلك جمع من مفسري العامة كالرازي (ت٦٠٦هـ)[١].

وكذلك ما عليه القرطبي (ت ٦٧١هـ)[٢]، والبيضاوي (ت ٦٨٣هـ)[٣]، وأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)[٤].

وإلى ذلك ذهب السيد الخوئي (قدس سره) بقوله: (والمعروف عند الشيعة أنها غير متواترة، بل القراءات بين ما هو اجتهاد من القارئ، وبين ما هو منقول بخبر الواحد. واختار هذا القول جماعة من المحققين من علماء أهل السنة. وغير بعيد ان يكون هذا هو المشهور بينهم... وهذا القول هو الصحيح)[٥].

إن هذا هو رأي الأكثرية من علماء الإمامية، مع جملة من بعض علماء أبناء العامة، إذن فالقراءات هي إما اجتهاد شخصي، أو خبر آحاد، والنتيجة في ذلك ستكون هي عدم الاعتبار على أكثر وأشهر المباني.

أما في جانب الروايات الإمامية المؤسسة لهذا القول، ففي صحيحة زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**إِنَّ اَلْقُرْآنَ وَاحِدٌ نَزَلَ مِنْ عِنْدِ وَاحِدٍ وَ لَكِنَّ اَلِاخْتِلاَفَ يَجِيءُ مِنْ قِبَلِ اَلرُّوَاةِ**»[٦].

وفي رواية الفضيل بن يسار عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «**كَذَبُوا ـ أَعْدَاءُ**

(١) ظ: التفسير الكبير، الرازي: ١: ٦٣.

(٢) ظ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١: ٤٦.

(٣) ظ: تفسير البيضاوي، البيضاوي: ١: ١١.

(٤) ظ: تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي الغرناطي: ٥: ٣٠٤.

(٥) البيان، السيد الخوئي: ١٢٣.

(٦) الكافي، الكليني، مصدر سابق: ١: ٦٣٠، كتاب فضل القرآن، باب النوادر، رقم الحديث١٣.

اَللّٰهِ ـ وَ لٰكِنَّهُ نَزَلَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، مِنْ عِنْدِ اَلْوَاحِدِ»[1].

إذن فإن رأي الإمامية قد توضح مما تقدم من كلام، وروايات، وما يتعلق بذلك من توضيحات.

على الرغم من ذلك؛ إلا أن محمد أركون لم يأتِ برأي الإمامية بشأن القراءات، بل هو أصر على الرأي المخالف لمدرسة الإمامية، فهو يقول ويؤكد على أنها متعددة، في إقصاءٍ واضحٍ لرأي الإمامية في هذه المسألة المهمة والحساسة.

يقول عبد الصبور شاهين مشيداً برأي السيد الخوئي: (وقد علق الخوئي تعليقاً ذكياً قات الأقدمين ملاحظته، قال: إن كثيراً من القرآن موضع اتفاق بين القراء، وليس مورداً للاختلاف، فإذا أضفنا موضع الاتفاق إلى موارد الاختلاف بلغ ثمانية، ومعنى هذا أن القرآن نزل على ثمانية أحرف، وهذا احتمال لم يأخذه القدماء في اعتبارهم، حين حصروا وجوه الاختلاف)[2].

هنا نجد بأن الدكتور عبد الصبور شاهين قد جاء بأبرز رأي ملخص لما تراه الإمامية من كتاب البيان للسيد الخوئي، في حين نجد محمد أركون يجافي ذلك، وكأنما لم يمر به اطلاقاً.

(٢) إقصاء تفسير الإمامية للآية (٥٧) من سورة الأنعام المباركة:

إن هذه الآية المباركة متكررة في آيات من سورة قرآنية أخرى، وقد جاءت

(١) الكافي، الكليني: ١: ٦٣٠.

(٢) تاريخ القرآن، عبد الصبور شاهين، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، ط٣، ٢٠٠٧م: ٦٢.

في القرآن الكريم ثلاث مرات بصيغة واحدة، وبأكثر من ذلك في صيغٍ أخرى.

قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[1].

فإن محمد أركون يأخذ رأي الخوارج في تفسير هذه الآية المباركة، ويقصي رأي الإمامية، رغم أن الحادثة كانت مع الإمام علي عليه السلام[2].

يقول الشيخ الطوسي في تفسير هذه الآية: (إن ذلك عند الله، وإن الحكم له تعالى)[3].

ويقول الشيخ الطبرسي في تفسير نفس الآية: (يعني: ليس الحكم في الفصل بين الحق والباطل، وفي إنزال الآيات إلا الله)[4].

علماً أن آية ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ قد وردت في القرآن الكريم ثلاث مرات، في سورة الأنعام الآية (٥٧)، وفي سورة يوسف الآية (٤٠) والآية (٦٧)، ولم تكن تتكلم عن الحكم أو السياسة أو الخلافة.

إن محمد أركون يعد الخوارج من الفرق الكبرى، ويضعها في قبال الشيعة كلها، والسنة كلها، وما ذلك إلا خطأ كبير وخطير في الوقت نفسه، لذلك فلا بدّ من أن يقف البحث عند أمور مهمة، هي:

أولاً: يعمل أركون على جعل الخوارج فرقة مقابل الفرق الإسلامية عموماً، ومقابل الشيعة خصوصاً:

---

(١) سورة الأنعام، الآية (٥٧).

(٢) ظ: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، محمد اركون: ٩٩ـ١٠٠.

(٣) تفسير التبيان، الشيخ الطوسي: ٤: ١٥٣.

(٤) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ٤: ٦٩.

فهو يجعل من الخوارج فرقة كبرى[1] بحسب زعمه أمام الفرق الإسلامية الأخرى.

لذلك قيل عنه ـ بسبب ذلك ـ بأن محمد أركون يعمل (دائماً على ذكر الخوارج بوصفهم فرقةً إسلامية أصيلة إلى جانب الشيعة وأهل السنة، في حين نعلم أن الخوارج عبارة عن فرقة منبوذة من الشيعة وأهل السنة على السواء، ولا يمكن أن تعد فرقة أصلية، بل هي من الفرق المنقرضة)[2].

نعم، فهو يجعل من الخوارج فرقة كبرى في مقابل الشيعة من جانب، والسنة من جانب آخر، ويجعل الشيعة بكل فرقها فرقة واحدة، والسنة بكل فرقها فرقة واحدة، وهذا مخالف للتاريخ وللواقع وللأدلة، ولكتب الملل والنحل.

ثانياً: إن شعار الخوارج (الحكم لله وليس لك يا علي) لا دخل له في تفسير أو فهم الآية (٥٧) من سورة الأنعام المباركة:

فإن ذلك خطأ كبير من محمد أركون، ودليل على عدم فهمه للتاريخ، وعدم معرفة الفرق أو التكتلات التي حاربت، أو عادت الإمام علي عليه السلام من غير الخوارج.

فتاريخياً قد (كانت المؤشرات السياسية بعد النهروان تومي إلى تكتل ثلاث جبهات منظمة معادية لأمير المؤمنين عليه السلام. الأولى: تتمثل في معاوية بن أبي سفيان... وتتمثل الثانية: في الخوارج الذين فجعهم الإمام بقتلاهم جانب النهر، فهم يثيرون القلق، ويقاطعون الإمام، ويتجرؤون دون مسوغ شرعي أو

(١) ظ: قراءات في القرآن، محمد أركون: ٥٥.

(٢) محمد أركون: دراسة النظريات ونقدها، مجموعة مؤلفين: ١١٥.

قانوني، فيجابهون الإمام بشعارهم «لا حكم إلا لله» أو «الحكم لله لا لك يا علي». وكان زعيم الخوارج صلفاً حينما يخاطب الإمام، وقد رأى من سياسته عدم الإكراه واللجاج، فيقول: «يا علي تب من خطيئتك، وارجع عن قضيتك، واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا». والإمام يجيب «قد أردتكم على هذا فعصيتموني»... والجبهة الثالثة: جبهة المنافقين والمتربصين...)[1].

ثم إن الخوارج لم يَعرفوا ـ فضلاً عن محمد أركون ـ تفسير الآية (٥٧) من سورة الأنعام المباركة، وهل هي تتكلم عن (الحكم) التكويني أو التشريعي، بل أخذوا ظاهر الآية، ولم يفقهوا أي مرادٍ منها.

على أن الخوارج تعد من الفرق المنحرفة عند الشيعة وعند أبناء العامة، ولا يمكن أن تعد من الفرق الكبيرة كما يرى أركون أو غيره ذلك.

ثالثاً: جواب الإمام عن مقولة الخوارج الباطلة بأنها (كلمة حق يراد بها باطل):

إن محمد أركون لم يتتبع الحدث تاريخياً ليعرف ماذا كان الرد على هذه المقولة من الإمام علي عليه السلام، فاركون ذكر قول الخوارج فقط، ولم يذكر النص الإمامي العلوي في الرد عليهم، إذ إنه قد غيّب وأقصى قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في رده على الخوارج.

فكان من ضمن جواب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على قول الخوارج (لا حكم إلا لله): «**كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ نَعَمْ إِنَّهُ لاَ حُكْمَ إِلاَّ لِلَّهِ وَ**

(١) الإمام علي سيرته وقيادته: في ضوء المنهج التحليلي، محمد حسين الصغير، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٣: ٣٥٠.

لَكِنَّ هَؤُلاَءِ يَقُولُونَ لاَ إِمْرَةَ إِلاَّ للهِ وَ إِنَّهُ لاَ بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ..»[1].

إن رده عليهم عليه السلام كان بأنها «كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ»، وما قولهم إلا شعارٌ فارغ المحتوى، بل هو مجرد كلام لا واقع له عندهم، ولا هدف من ورائه إلا الفتنة.

وقال عليه السلام في الرد عليهم أيضاً: «أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ وَ لاَ بَقِيَ مِنْكُمْ آبِرٌ أَ بَعْدَ إِيمَانِي بِاللهِ وَ جِهَادِي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكُفْرِ لَ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَاْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ فَأُوبُوا شَرَّ مَآبٍ وَ اِرْجِعُوا عَلَى أَثَرِ الْأَعْقَابِ أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلاً شَامِلاً وَ سَيْفاً قَاطِعاً وَ أَثَرَةً يَتَّخِذُهَا الظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً»[2].

فإن كانت هذه مواصفات الخوارج على لسان كاتب الوحي الأول، وربيب رسول الله صلى الله عليه وآله، والمقاتل على تأويل القرآن الكريم، والموحد الأول، والصدّيق الأكبر، فكيف يمكن عدهم فرقة إسلامية، وكيف يمكن عدّهم من الفرق الكبرى، وكيف يمكن عدّهم من المطيعين لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله، وكيف لا يكونون ـ بحق ـ من الفرق المنحرفة والضالة.

رابعاً: القرآن حمال ذو وجوه:

إن القرآن الكريم حمال ذو وجوه، وهذه قاعدة أسسها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وذلك في كيفية التعامل مع الآيات القرآنية تفسيراً، وفي حال المجادلة، وعند استخراج الأحكام.

فلقد قال الإمام علي عليه السلام لعبد الله بن العباس لما بعثه للاحتجاج على

(١) نهج البلاغة، الشريف الرضي، مصدر سابق: الخطبة (٤٠): ٩٨.

(٢) نهج البلاغة، الشريف الرضي، مصدر سابق: الخطبة (٥٨): ١١٣.

الخوارج: «لاَ تُخَاصِمْهُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَّالٌ ذُو وُجُوهٍ تَقُولُ وَيَقُولُونَ وَلَكِنْ حَاجِّهِمْ بِالسُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصاً»[1].

فإن محمد أركون قد غيّب وأقصى النص الإمامي حول هذه المقولة، وعن سببها، وعلاقتها بالخوارج، واقصى رأي الإمامية بهذا النص الخاص بأمير المؤمنين عليه السلام، إذ ـ وبسبب ضعفه بالتاريخ ـ فإن محمد أركون لم يذكر ملابسات الحادثة مع الخوارج بكامل تفاصيلها، أو بأسسها المهمة مطلقاً، بل اقتطعها اقتطاعاً، حاله حال الخوارج الذين اقتطعوا ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ من الآية (٥٧) من سورة الأنعام، ليسقطوها على ما يريدون من فهم مصلحي وسياسي خاص.

(٣) إقصاء النص الإمامي عن قاعدة تفسيرية مهمة:

إن هذا النوع من الإقصاء مارسه محمد أركون بخصوص قاعدة تفسيرية مهمة هي: (إياك أعني واسمعي يا جارة).

فإن محمد أركون لا يذكر رأي الإمامية بخصوص هذا النص، ولا بخصوص هذه القاعدة مطلقاً[2]. رغم الأحاديث الكثيرة الواردة في ذلك.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ اَللّٰهَ بَعَثَ نَبِيَّهُ بِإِيَّاكِ أَعْنِي وَ اسْمَعِي يَا جَارَةُ»[3].

(١) نهج البلاغة: الكتاب (٧٧).

(٢) ظ: قراءات في القرآن، محمد اركون: ٤٣٣.

(٣) بحار الأنوار، المجلسي: ٩٢: ٣٨١.

وقال عليه السلام: «نَزَلَ اَلْقُرْآنُ بِإِيَّاكِ أَعْنِي وَ اسْمَعِي يَا جَارَةُ»[1].

وقال الإمام الرضا عليه السلام عن آيات في القرآن الكريم: «هَذَا مِمَّا نَزَلَ بِإِيَّاكِ أَعْنِي وَ اِسْمَعِي يَا جَارَةُ»[2].

يقول الشيخ محمد السند عن هذه القاعدة القرآنية: (مضمون القاعدة هو أن يوجه المتكلم ظاهر خطابه إلى المخاطب، ومراده الجدي إلى مخاطب آخر. وهو من الأساليب التربوية الرائعة والنافعة التي استعملها العرب، وعلى ضوئها استعملها القرآن الكريم في خطاباته، فلكيلا يوجه الباري خطاباته بصورة مباشرة إلى المسلمين أو المؤمنين؛ لأن ذلك فيه نوعٌ من ردة الفعل أو التشبيه، ولأجل هذا وغيره، ورأفة من الباري تعالى، لا يوجه الخطاب مباشرةً للمخاطب المقصود... وفي هذا أسلوب تربوي نافع، مقتبس من سنن الله في كيفية تربية الله لخلقه، والله ستار العيوب، يحب الستر، ولا يكشف الستار)[3].

بعد ذلك يتوضح مدى الإقصاء الذي يمارسه محمد أركون على النصوص الإمامية، وذلك عبر التغييب المتعمد لها، وعدم ذكرها، والتنكر لها، وكأنها غير موجودة، رغم أنها نصوص ذُكرت حتى في كتب أبناء العامة، إلا أن محمد أركون يقصيها، ولا يذكرها أبداً.

إن الطبيعة التنويرية في نصوص الإمامية قد ألجأت الحداثيين العرب إلى تغييبها، ونعتها ـ باطلاً ـ بالظلامية، وذلك لكي يكونوا هم فقط دعاة التنوير،

(١) الكافي، الكليني: ٢: ٦٣١.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الصدوق: ١: ٢٠٢.

(٣) تفسير أمومة الولاية والمحكمات للقرآن الكريم، محمد السند، تقرير: محسن الجصاني، مطبعة شريعت، قم ـ إيران، ط١، ١٤٣٤هـ: ١: ٣٩٧.

أو يحصروا التنوير في المذهب الحاكم، أو في منطقة معينة، أو عند طائفة معينة، أو في لغة معينة، علماً أنهم يأخذون التنوير من النصوص الإمامية وينسبونه لأنفسهم، ولا ينسبون إلى الإمامية إلا الظلام والظلامية.

ما ذلك إلا حس طائفي مقيت، وطرح بعيد كل البعد عن الموضوعية، وتغييب كامل لتراث مهم وحيوي.

إن النماذج الحداثية العربية، التي تمثل الطرح الحداثي البارز على صعيد الفكر العربي المعاصر، قد وقعت في مأزق النظرة التجزيئية والتشطيرية، والتي لا تفسح المجال أمام التراث الآخر[1]. المتمثل بالتراث الإمامي بكل ما به من إبداع، وتنوير، وقرب من الواقع.

فالحس الإقصائي من أهم ملامح الحداثيين العرب في تعاملهم مع النص الإمامي، وهذا جليٌ وواضحٌ في كتابات محمد أركون بوصفه نموذجًا من نماذج الحداثة العربية.

إن طريقة الإقصاء تعد من أهم الطرق التي اتبعها الحداثيون العرب في إقصاء النص الإمامي عن كل شيء، وإبعاده، ورفضه، وذلك لغايات أيديولوجية ومصلحية وطائفية.

(١) ظ: محنة التراث الآخر، إدريس هاني: ١٣.

المبحث الثالث: الاتهام والقبول المؤدلج عند محمد أركون في تعامله مع النصوص الإمامية:

المطلب الأول: محمد أركون والتهم الموجهة للنص الإمامي:

إن من الممارسات التي مارسها، وطرق التعامل التي اتبعها محمد أركون مع النص الإمامي هو اتهامه، أو توجيه التهم له، وذلك بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

فإن التهم التي وجهها محمد أركون للإمامية، وللنص الإمامي كثيرة، ومتعددة، ومتنوعة، ومنها:

(١) الإتهام السياسي المبني على عدم فهم حديث الفرقة الناجية:

إن محمد أركون يقول: (إن الشيعة في إيران يعتبرون أنفسهم بمثابة الفرقة الوحيدة الناجية منذ أن كان المذهب الشيعي قد أصبح المذهب الرسمي للدولة الصفوية بعد القرن السادس عشر)[١].

وما قوله ـ هذا ـ إلا اتهام مصبوغ بصبغة سياسية، وبعيد كل البعد عن الطرح العلمي، ومجافٍ تمام المجافاة للوقائع التاريخية، وهذا يحتاج إلى وقفات مهمة، وهي:

أولاً: حديث الفرقة الناجية:

إن حديث الفرقة الناجية لا يختص بالشيعة، أو الشيعة في إيران فقط، فهو

(١) نحو نقد العقل الإسلامي، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٩م: ٢٦.

حديث مشهور جداً في جميع المصادر الإسلامية، الشيعية والسنية[1]، بل هو موجودٌ بمعانيه عند اليهود والنصارى على حدٍ سواء.

إلا أن جملة من علماء الشيعة في تحقيقهم لهذه الحديث، ومع الشهرة التي يتمتع بها، وكثرة الروايات عنه إلا عدم الاعتماد عليه، لكونه يخالف ثوابت قرآنية مهمة أوردتها الآيات المباركة.

ثانياً: الخلط ما بين الصفوية والصفارية:

فإن محمد أركون وفي مواقع متعددة من كتبه وكتاباته يخلط ما بين الدولة الصفوية، وبين الدولة الصفارية[2]، وما ذلك إلا دليلٌ على ضعفه بالتاريخ الإسلامي، فضلا عن العلوم الأخرى التي تأكد ضعفه بها هو وباقي الحداثيين العرب، فالخلط في أمور كثيرة، والضعف بالتاريخ، وعدم اتقان علوم مهمة تفسر وتوضح النص القرآني، سيؤدي بالنتيجة إلى هذا الخلط الواضح، إذ قد وقع فيه أركون وباقي الحداثيين العرب، دلالة على ضعفهم بكثير من المعارف، وعدم امتلاكهم للأدوات المعرفية المناسبة للبحث والفهم والاستنتاج.

ثالثاً: عدم الرجوع إلى النصوص الإمامية حول المراد بالفرقة الناجية:

فإن محمد أركون لو رجع إلى النصوص الإمامية حول حديث الفرقة الناجية لوجد بأن أغلب علماء الإمامية لا يأخذون به، وذلك لإيمانهم بالقاعدة الإلهية القرآنية في الآية (١٣) من سورة الحجرات المباركة.

(١) ظ: مسند أحمد بن حنبل: ٣: ١٤٥، سنن ابن ماجة: ٢: ٣٦٤، بحار الأنوار، المجلسي: ٢٨: ٤، المستدرك، الحاكم النيسابوري: ١: ٢٨١، سنن الترمذي: ٥: ٢٦، مجمع الزوائد، الهيثمي: ١: ٢٦٠، المعجم الكبير، الطبراني: ١٧: ١٣، السنن الواردة، الداني: ٣: ٦٢٤.

(٢) ظ: الفكر الإسلامي قراءة علمية، محمد اركون: ٢٩.

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1].

ومثال على ذلك فإن الشيخ جعفر السبحاني يقول: بأن الاضطراب الموجود في الروايات لحديث الفرقة الناجية يمنع إمكانية التمسك به، أو الاعتماد عليه[2].

إن عدم رجوع محمد أركون إلى نصوص الإمامية بخصوص حديث الفرقة الناجية هو ما سبب اتهام الإمامية، وإتهام النص الإمامي، مما أوقعه في خطأ فضلا عن أخطائه الكثيرة الأخرى.

(٢) تهمة (الكاريزما) التي تنم عن عدم فهم للنصوص:

يقول محمد أركون: (نلاحظ أن السنة «أصحاب المذهب السني» يدعون الانتساب إلى سنة النبي، في حين أن الشيعة يتحدثون عن سنة أهل البيت «بيت محمد». وفي حين أن السنة يتلقون بورع وطاعة كاملة الأحاديث المنقولة عن الخلفاء الثلاثة الأول المدعوين بالراشدين، نجد الشيعة تكتفي بالأحاديث المنقولة عن الإمام علي وذريته الذين يتمتعون جميعاً بجاذبية وبهيبة قدسية «كاريزم»)[3].

إن ما يسميه محمد أركون بـ(الكاريزما) هو في حقيقته مأخوذ من كتابات (ماكس فيبر) (١٨٦٤ـ١٩٢٠م)، وبالخصوص من كتابه الموسوم بـ(الاقتصاد والمجتمع)، والذي يخصص فيه صفحات طويلة حول الكاريزما، ومن يؤمن بها، وحقيقتها.

(١) سورة الحجرات، الآية (١٣).

(٢) ظ: بحوث في الملل والنحل، جعفر السبحاني: ١: ٤٠ـ٤١.

(٣) الفكر الإسلامي قراءة علمية، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، ط٢، ١٩٩٦م: ٢٧.

يقول ماكس فيبر: (فالشيعة القائمة على كاريزما الوراثة لعائلة علي وما ينجر عنها من نتائج تخص الإمام المعصوم عن الخطأ في تعاليمه)[١].

بذلك يتوضح النقل (التناص) ما بين النصين، نص ماكس فيبر الأصلي، ونص محمد اركون المنقول عنه، علماً أن محمد أركون لم يشر إلى ماكس فيبر مطلقاً.

إن إسقاط المفاهيم الحديثة، المستقاة من الفلسفة المعاصرة الحديثة، والعلوم الإنسانية، على النص التراثي، هو وفيرٌ ومفرط في كتابات الحداثيين العرب، فهو بمقدار ينوء النص عن حمله، ويتحول معه (النص) إلى حقل تجارب، وذلك لإثبات نجاعة المفهوم المستعمل، وليس أهمية النص المشتغل عليه[٢].

(٣) اتهام النص الإمامي بالاعتباطية والايديولوجية:

يقول محمد أركون: إن النصوص الإسلامية الموجودة في الاتجاه السني والشيعي والخارجي اعتباطية وأيديولوجية، أساسها أفكار وعادات، صورت على أنها دينية[٣].

إن محمد أركون يبقى يكيل التهم للآخرين، وبالخصوص للشيعة الإمامية، وللنصوص الصادرة عنهم، ومن المفروض أن يذكر أسباباً مقنعة لاتهاماته الكثيرة، والمتكررة.

---

(١) الاقتصاد والمجتمع، ماكس فيبر، ترجمة: محمد التركي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٥م: ٥٥٤.

(٢) ظ: نقد التراث، عبد الإله بلقزيز، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٤م: ٣٥٣.

(٣) الفكر الإسلامي قراءة علمية، محمد اركون: ١٨٢.

وهنا لا بدّ من وقفاتٍ مهمة، هي:

أولاً: تقسيم ثلاثي غير صحيح:

فإن البحث مراراً وتكراراً يؤكد على رفض فكرة أو قضية جعل الخوارج فرقة كبرى في قبال الشيعة كلها، أو السنة كلها، وذلك مرفوض، ومخالف للتاريخ، ومخالف لأساسيات كتب الملل والنحل بأجمعها.

ثانياً: ماذا يريد بالاعتباطية؟

ماذا يريد محمد أركون من الاعتباطية؟ هل يريد الاعتباطية في قبال القصدية؟ أو التي في قبال التسامح؟ أو التي في قبال العادات؟

ثالثاً: ماذا يريد بالأيديولوجية؟

ماذا يريد أركون من الايديولوجيا؟ هل يريد بها العقيدة؟ أو يريد بها المصلحة؟ أو يريد بها الفكر المؤدلج؟

رابعاً: ما دخل العادات بالدين؟

فما دخل العادات بالدين؟، فالعادات لا تُصبح ديناً مطلقاً، وذلك بالمعنى الحقيقي والصحيح للدين، بل إن الدين ـ الحقيقي ـ قد جاء لمحاربة العادات، وبالخصوص العادات السيئة المخالفة للشرع الإلهي، وللإنسانية، وللأخلاق الحميدة.

إن هذه التهم التي يلقيها محمد أركون على النصوص الإسلامية عموماً، وعلى النص الإمامي خصوصاً، ما هي إلا مخالفة صريحة للتاريخ، وللوقائع، وللأدلة المادية، وللوثائق المكتوبة والمحفوظة.

فإن تهم محمد أركون لا تنتهي، وليس لها حدود، وهي تفتقر للدليل عليها، بل هي تهم لأجل التهمة فقط.

إن ديدن الحداثيين العرب هو توجيه التهم يميناً وشمالاً، وتوسيع دائرة إيديولوجيتهم لتشمل كل ما هو تنويري ليطفؤوه، وليغيبوه، وليمحوه، بل ليسرقوه، وينسبونه لهم، وليدعوا بأنهم هم فقط دعاة التنوير والتقدم، فإن أي نص تنويري مخالف لهم ولأيديولوجيتهم يعد ظلامياً، أما عندما يسرقونه وينسبونه لأنفسهم، فإنهم يعدونه الوحيد والفريد في التنوير والإصلاح، ولقد كتبت العديد من الكتب في الرد على ما يسمى بـ(مشاريع الحداثة)، وتم التوضيح فيها عن مقدار التهافت والسرقات التي وقعت من الحداثيين العرب.

(٤) اتهام النص الإمامي بالمجازية والأسطورية:

يقول محمد أركون: (نجد أن الخط الشيعي يمثل تفسيراً لكلام الله مأخوذاً على مستوى اللغة في بنيتها المجازية المثالية الأسطورية)[١].

إن دراسة الأسطورة، والميثولوجيا، وجملة من علوم الانثروبولوجيا، قد أثر على عقل محمد أركون، ليتهم التفاسير الشيعية للنص القرآني بأنها أسطورية، وهذا جاء بسبب منهجيته، وما يفعله من إسقاطات لأجلها.

يقول الأستاذ محمد محفوظ: (إن أركون مهووس بدراسة الأسطورة والخيال والوعي الأسطوري واللاوعي، أو ما يسمى بعلم النفس التاريخي، وهذا يندرج ضمن المنهج الذي رسمه «فيفر»، وطبّقه على أوربا، وتبنّاه أركون ويحاول

(١) قراءات في القرآن، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٧م: ١٠٦.

تطبيقه على العالم العربي والإسلامي، فاركون هو عبارة عن تقني يطبق وينفذ المناهج الغربية على التراث العربي والإسلامي)[1].

فإن التناص وصل بأركون إلى حد تغييب وإقصاء المصادر الأصلية، والمجيء بمناهج حديثة ـ مغايرة بالطبيعة والثقافة للواقع العربي والإسلامي ـ ليطبقها على التراث الإسلامي عموماً، وعلى التراث الإمامي خصوصاً.

فأركون قد تكلم عن منزلة النص القرآني بوصفه (أسطورة) وهو التعبير الأركوني المستعار من بيير بورديو[2]، والمستعار أيضاً من آراء رولان بارت، وميرسيا إيلياد[3]، فضلا عن آراء لوسيان فافر.

ليتكشف بأنّ التناص عند محمد أركون لا يقف عند حدٍ معين، بل هو متنوع ومتعدد، وقد جاء به أركون من هنا وهناك، وغيّب مصادره، ثم جاء ليسقطه على النصوص الإسلامية والنصوص الإمامية، وما ذلك إلا اتهام صريح، وكلام قريب إلى الباطل، وبعيد كل البعد عن الحق وعن الواقع.

(٥) اتهام النص الإمامي بالتطرف:

إن محمد أركون يخالف النصوص التي تؤيد وراثة الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم، ولا يذكر النصوص الإمامية الشارحة لها، بل يتهمها بالتطرف في شرح

(١) العرب والحداثة: قراءة في فكر أركون والعروي والمنجرة، محمد محفوظ، بسطة حسن للنشر والتوزيع، القطيف، ط١، ٢٠١٢م: ١٠٨.

(٢) خرائط إيديولوجية ممزقة، إدريس هاني، مصدر سابق: ٢١٣.

(٣) العقل الإسلامي أمام تراث عصر الأنوار في الغرب: الجهود الفلسفية عند محمد أركون، رون هاليبر، مصدر سابق: ٣٧.

معنى الوراثة، رغم أنه لم يأت بذكر تلك النصوص مطلقاً[١].

فإن محمد أركون ينكر نصوص الوراثة، وكأنه لم يقرأ القرآن الكريم وما فيه من آيات تؤكد على ذلك، وبالخصوص وراثة الأنبياء عليهم السلام، وذلك لإكمال المسيرة الإصلاحية الإلهية.

قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[٣].

ثم إنه لا يذكر النصوص الإمامية الشارحة لآيات الوراثة، في تغييبٍ واضحٍ لها، وهو وإن جاء بجزءٍ منها، فإنه يتهمها بالتطرف، بل إنه لا يأتي بها ليقرأها القارئ ليحكم بنفسه عليها.

(٦) اتهام النص الإمامي بالباطنية والغنوصية:

إن محمد اركون وتأثراً بالمستشرقين، وجملة من الحداثيين العرب، قد وجه الاتهامات للإمامية وللنص الإمامي ووصفه بالباطنية والغنوصية[٤].

فإن هذه التهم التي ذكرها المستشرقون، وروج لها أعداء الإمامية من أمثال (أحمد أمين)، قد أخذها محمد أركون جاهزةً ليسقطها على الإمامية، وعلى نصوصهم وكتاباتهم، ليصفها بالباطنية والغنوصية.

---

(١) ظ: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، محمد أركون، مصدر سابق: ١٣٤.

(٢) سورة النمل، الآية (١٦).

(٣) سورة مريم، الآيات (٥ـ٦).

(٤) ظ: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، محمد أركون: ١٥٧.

يقول محمد أركون: (لقد حول التراث الإسلامي المزدوجة الثنائية: باطن ـ ظاهر، إلى صراع: سياسي ـ ديني، بين الشيعة والسنة)[1].

علماً أن جملة من الفرق الباطنية موجودة في مختلف فرق أبناء العامة، وهي على أنواع متعددة من الباطنية، وأشهرهم (الصوفية)، وتوجد الباطنية في جميع الأديان الوضعية، وكذلك في اليهودية والمسيحية، وقد بين البحث ذلك في محله.

إن كل ذلك ينمّ عن جهل في تمييز النصوص الموجودة في التراث الإسلامي، وهي مشكلة مشتركة بنسبة كبيرة عند جميع الحداثيين العرب.

يقول الأستاذ قاسم شعيب في الرد على محمد اركون: (لا يميز الأستاذ أركون في هذا التراث الإسلامي بين نصوصه الدينية قرآناً وسنة، والإنتاجات الإنسانية المستلهمة لها. فجميعها في نظره لا بدّ لها ان تخضع لهذه المناهج حتى يمكن الوصول إلى الفكر الذي يكون قادراً على تشكيل أساس صحيح لأية نهضة ممكنة)[2].

إن المراد عند أركون من كل ذلك هو إثارة الشكوك، وترويج الحس التشكيكي في جميع النصوص.

فإن الغرض من النزعة التشكيكية في هذه الكتابات خلخلة اليقينيات، وتفكيك الأسس التي يقوم عليها الإسلام، وذلك ما يريده محمد أركون.

---

(١) قراءات في القرآن، محمد اركون: ٣٩٤.

(٢) تحرير العقل الإسلامي، قاسم شعيب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، ط٢، ٢٠١٣م: ٣٣.

فإن ذلك يعكس الاتجاه التفكيكي ـ المفرط ـ عند محمد أركون، في جميع كتاباته وأطروحاته.

فأركون هو أحد أهم ممثلي التفكيك، وذلك جليٌ وواضحٌ من كتب عدّة أصدرها تناولت هذه المسائل مثل: (قراءات القرآن)، (الإسلام: الأمس والغد)، (الفكر الإسلامي: قراءة علمية)، فهو يرى أن المسلمين يستهلكون القرآن في حياتهم ولا يخضعونه للدراسة والفحص العلمي الحديث، فهم ـ عنده ـ ما زالوا ينظرون إلى التراث التفسيري بعيون القدامى، ولم يخطر ببالهم البحث عن تفسير جديد للقرآن الكريم يتجاوز البنية الكلامية والفقهية الكلاسيكية، والتي ظلت سيدة الموقف في فهم التعاليم القرآنية.

ثم نجد بأن السبيل الأفضل ـ عند أركون ـ للخروج من هذا الوضع هو عدّ النص القرآني نصاً مفتوحاً على احتمالات عديدة، وأنه قد جاء من أجل أن يقرأه الجميع ويتأملوه ويتدبروا آياته، من دون أي توقف.

وهذا هو ما يفسر احتكار المؤسسات الرسمية للنص الديني، ومصادرتها له، وذلك من أجل أن تنصب نفسها واسطة ما بين هذا النص وبين المتلقي المسلم[1]. لكن هذه القضية خاصة بالمؤسسات الرسمية، أما غيرها فالأمر على عكس ذلك.

إن محمد أركون يدعي بأن مشروعه هو الوحيد الذي له القدرة على تغيير واقع المجتمعات الإسلامية، فضلا عن أنه يصور نفسه وكأنه المنقذ والمحرر، بحيث يصلح أن يُصبح فكره نوعاً من الايديولوجيا، تلك الايديولوجيا التي طالما رفضها هو.

(١) ظ: تكوين النص، قاسم شعيب: ١٥٩ـ١٦٠.

فإن محمد أركون يصور مشروعه وكأنه يكشف عن جديد لم يأت به أي مشروع آخر فيقول: لم يعتد مؤرخ الفكر على أن يجمع بين كل هذه الاهتمامات، ويفتتح كل هذه المنظورات، ويتابع كل هذه المهمات في الحركة الواحدة نفسها من الفكر والكتابة[1].

إن أركون بدأ مشروعه بنقد العقل، ليصل إلى نقد القرآن الكريم، مروراً بنقد التراث، وقد آمن إيماناً لا رجعة فيه بضرورة إعادة قراءة التراث، وهو ما أكده في أكثر من موقع وفي أكثر من كتاب أو لقاء، فالمسلمون عنده لا يمكن أن يتحرروا فعلاً إلا إذا قاموا بنقد تراثهم[2]. والذي أساسه القرآن الكريم.

فإن المراد بالتراث ـ هنا ـ هو الإسلام؛ كدين ومنظومة، وما به من نصوص مؤسسة، وشارحة.

لذلك فإن الدين وبتفصيلاته المختلفة يمثل المحور الأساس لعملية النقد الأركوني، ويمثل التعرّف على رؤيته للدين بنحو عام نقطة مهمة جداً في نقد أفكاره.

إن الدين وبحسب اعتقاد أركون ما هو إلا علاقة روحية بين الإنسان ومن دون الحاجة إلى واسطة بينه وبين ربه، ودون أن يكون فيه طقوس[3].

فالتفكيك ما بين الدين والطقوس، وتحويله إلى أمرٍ روحي، هو كلام شهده الغرب منذ قرون، وهو ليس من إبداعات محمد أركون، ثم أن النقودات التي

(١) ظ: تاريخية الفكر العربي الإسلامي، محمد أركون: ١١.
(٢) ظ: تاريخية الفكر العربي الإسلامي، محمد أركون: ١٣٨.
(٣) الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، محمد أركون: ٣٨.

يقدمها أركون ضد الدين والتشريع خالية من أي دليلٍ مقنع، وما هي إلا كلام نظري، لا يستطيع حتى هو تطبيقه.

فمثلاً أن محمد اركون يذهب إلى أن الدين أمر تاريخي، أي يدخل ضمن التاريخ، وليس هو بخارج عنه[١]، وهي ما تسمى بنظرية أرخنة الدين الغربية، والتي قد استنسخها، وجاء بها (تناصاً) من أوربا ليطبقها على الدين الإسلامي، وعلى النصوص الإسلامية.

إن ذلك يؤكد ـعشرات المراتـ على (التناص) الواضح في كل كتابات وأطروحات محمد أركون.

فإن محمد أركون ـعلى سبيل المثالـ وفي منهج اللسانيات يعتمد كل الاعتماد على أفكار (إميل بنفينست)[٢]، وفي قراءاته التفسيرية الألسنية ينقل كلام الناقد (جان ستاروبنسكي) من كتابه: (اعتبارات حول الحالة الراهنة للنقد الأدبي) وبحرفية كاملة[٣]، وفي مجال تاريخ علم الأديان يبني آراءه على كتابات (ميشال ميسلان) وبالخصوص كتابه (من أجل علم جديد للأديان)[٤]، وتراه يردد تساؤلات (هايدجر) حول (التاريخية الموثقة)[٥]، وهكذا.

فعن طريق كل ذلك حاول محمد اركون رسم صورة مظلمة للفكر الإسلامي، وذلك حينما أشار إلى أن ثمة مساحات واسعة تدخل فيما يسميه بـ(اللامفكر

(١) الإسلام ـأوربا ـ الغرب، محمد أركون: ١٧١ـ١٧٢.
(٢) القراءة الأركونية للقرآن، السعدي: ٢٥١.
(٣) القراءة الأركونية للقرآن، السعدي: ٢٨٥.
(٤) القراءة الأركونية للقرآن، السعدي: ٢٩٣.
(٥) الفكر الإسلامي قراءة علمية، محمد أركون: ١٣٢.

فيه)، والتي قد أخذ أركون على عاتقه مسؤولية الكشف عنها، وإدخالها حيز ما يمكن التفكير فيه بحسب زعمه ومدعاه.

المطلب الثاني: محمد اركون والقبول المؤدلج والمصلحي للنص الإمامي:

إن محمد أركون ـ وفي بعض الأحيان ـ يذكر بعضاً من النصوص الإمامية، قبولاً بها، وذلك لأهداف مصلحية أو مؤدلجة، وليس لأهداف علمية أو موضوعية.

ومن ذلك القبول المصلحي للرد على محمد عابد الجابري، إذ يقول محمد أركون: (في ما يخص الإسلام، لا يوجد فصل قاطع بين التصور الشيعي، وبين التصور السني كما أوهمتنا بعض الدراسات المتسرعة والاختزالية، وذلك على أساس أنهم يتوهمون أن التصور الشيعي يقع كلياً في جهة الأسطورة، الرمز، الخيال، المعنى الباطني، أو الداخلي، المنطق التعددي. في حين أنهم يتوهمون أن التصور السني يقع كلياً في جهة العقلانية المركزية، العلامة، الإشارة، الحرف، العقل التصنيفي القطعي)[1].

رغم أنه قد اتهم النص الإمامي، والتراث الإمامي، والتفسير الإمامي للقرآن الكريم، ووصفه بالأسطورية.

فهو القائل كما ورد مسبقاً: (نجد أن الخط الشيعي يمثل تفسيراً لكلام الله مأخوذاً على مستوى اللغة في بنيتها المجازية المثالية الأسطورية)[2].

---

(١) قراءات في القرآن، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٧م: ٤٠٨.

(٢) قراءات في القرآن، محمد أركون: ١٠٦.

وإن من أنواع القبول المصلحي عند محمد أركون هو ذكره كتاب (البيان) للسيد الخوئي، إذ يقول: (كتاب بعنوان: مقدمة للقرآن وهو من تأليف السيد أبو القاسم الخوئي... المقدمة هو أهم كتاب من حيث المرجعية الدينية؛ لأن مؤلفه الخوئي كان يمارس قيادة دينية عليا حاملاً لقب «آية الله» في النجف)[1].

إن ما ذكره عن الكتاب ما هو إلا قبول مصلحي، وذلك لكي يقال بأنه علمي أو موضوعي، وهذه الموضوعية والعلمية عنده سترتفع عندما نقرأ نقده ـ غير الموضوعي ـ لكتاب البيان للسيد الخوئي (قدس سره)، وبصوره بعيدة عن الموضوعية والعلمية المدعاة.

فهو يقول عن كتاب البيان: (أنه لا يبدي أي اهتمام بالمنهجية المقارنة التي تدرس العلاقات بين الكتابات المقدسة)[2].

فما دخل كتاب تفسيري للقرآن الكريم بالمنهجية المقارنة للكتب المقدسة (السماوية)، فكتاب السيد الخوئي (قدس سره) يفسر آيات القرآن الكريم فقط، ولا دخل له بالتوراة أو الإنجيل، وما ذلك إلا خلط يتبين منه أن القبول بالنص الأول كان قبولًا ايديولوجيًا هدفه نقد كتاب البيان.

(١) القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت ـ لبنان، ط٢، ٢٠٠٥م: ١٣.

(٢) القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، محمد اركون: ١٣.

الخاتمة والنتائج:

(١) إن النص الإمامي عام شامل يقسم إلى قسمين: قسم معصوم؛ وهو الصادر عن المعصوم عليه السلام، وقسم آخر غير معصوم؛ وهو الصادر عن غير المعصوم، ولا يمكن معاملتهما بالمعاملة نفسها، أو مساواتهما في الأخذ والتعامل.

(٢) لقد وجه الحداثيون العرب كثيرًا من التهم للنص الإمامي، منها: الباطنية، والهرمسية، والغنوصية، والظلامية، واللامعقول، وغير ذلك من تهم.

(٣) لقد تعامل الحداثيون العرب مع النص الإمامي بتعاملات أو طرق عدّة، منها: الإقصاء، والاتهام، والقبول المصلحي، والقبول الأيديولوجي، وما شاكل ذلك من طرق التعامل غير العلمي.

(٤) إن التعامل غير الموضوعي مع النص الإمامي سببه الخلفيات الفكرية للحداثيين العرب، والمؤثرات عليهم وعلى أفكارهم، وكذلك خلفياتهم الدينية.

(٥) إن محمد أركون كان كحال الحداثيين العرب في توجيه التهم للنص الإمامي، وبالخصوص النص القرآني التفسيري، وقد توضح ما وقع فيه من أخطاء، وتوضحت هفواته وزلاته.

المصادر والمراجع:

(٦) الاتجاهات العقلانية الحديثة، ناصر بن عبد الكريم العقل، دار الفضيلة، الرياض ـ المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ.

(٧) أثر الاستشراق في الفهم الحداثي لمباحث تاريخ القرآن وعلومه، كاظم جواد الحكيم، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العتبة العباسية المقدسة، ط١، ٢٠١٢م.

(٨) الاستشراق، إدوارد سعيد، ترجمة: محمد عناني، دار رؤية، القاهرة ـ مصر، ط٢، ٢٠٠٦م.

(٩) الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، هاشم صالح، دار الساقي، بيروت لبنان، ط٢، ٢٠٠٠م.

(١٠) الإسلام ـ أوربا ـ الغرب: رهانات المعنى وإرادات الهيمنة، محمد اركون، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت ـ لبنان، ط٢، ٢٠٠١م.

(١١) الاقتصاد والمجتمع، ماكس فيبر، ترجمة: محمد التركي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٥م.

(١٢) الإمام علي سيرته وقيادته: في ضوء المنهج التحليلي، محمد حسين الصغير، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.

(١٣) بحار الأنوار، المجلسي (ت١١١١هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.

(١٤) بحوث في الملل والنحل، جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام،

قم ـ إيران، ط١، ١٤٣١هـ.

(١٥) البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الخوئي، دار الثقلين للطباعة والنشر، طهران ـ إيران، ط٦، ١٤٢٩هـ.

(١٦) تاريخ القرآن، عبد الصبور شاهين، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، ط٣، ٢٠٠٧م.

(١٧) تاريخية الفكر العربي الإسلامي، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، المركز الثقافي العربي، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٩٩٦م.

(١٨) التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر الطوسي (ت٤٦٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، دون طبعة، دون تاريخ.

(١٩) تحديث الفكر الإسلامي، عبد المجيد الشرفي، دار المدار الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٩م.

(٢٠) تحرير العقل الإسلامي، قاسم شعيب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، ط٢، ٢٠١٣م.

(٢١) التدين المنقوص، فهمي هويدي، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٩٤م.

(٢٢) التراث والمنهج بين أركون والجابري، نايلة أبي نادر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.

(٢٣) تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي الغرناطي (ت٧٤٥هـ)، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ.

(٢٤) تفسير البيضاوي، القاضي نور الدين البيضاوي (ت٦٨٥هـ)، تحقيق:

محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٨هـ.

(٢٥) التفسير الكبير، الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠١هـ.

(٢٦) تفسير الميزان، الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٩٧م.

(٢٧) تفسير أمومة الولاية والمحكمات للقرآن الكريم، محمد السند، تقرير: محسن الجصاني، مطبعة شريعت، قم ـ إيران، ط١، ١٤٣٤هـ.

(٢٨) تفسير كنز الدقائق، محمد بن محمد رضا المشهدي، مؤسسة شمس الضحى، قم ـ إيران، ط١، ١٤٣٠هـ.

(٢٩) تكوين النص: النبوة، الوحي، الكتاب، قاسم شعيب، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٦م.

(٣٠) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، دار الكتب المصرية، القاهرة ـ مصر، ط٢، ١٣٨٤هـ.

(٣١) الحداثة وموقفها من السنة النبوية، الحارث فخري عيسى عبد الله، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٤٣٤هـ.

(٣٢) خرائط ايديولوجية ممزقة، إدريس هاني، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.

(٣٣) سنن ابن ماجة، ابن ماجة (ت٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ـ مصر، دون طبعة، دون تاريخ.

(٣٤) سنن الترمذي، الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر،

مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ـ مصر، ط٢، ١٩٧٥م.

(٣٥) السنن الواردة في الفتن، الداني (ت٤٤٤هـ)، تحقيق: رضا الله بن محمد المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.

(٣٦) العرب والحداثة: قراءة في فكر أركون والعروي والمنجرة، محمد محفوظ، بسطة حسن للنشر والتوزيع، القطيف، ط١، ٢٠١٣م.

(٣٧) العقل الإسلامي أمام تراث عصر الأنوار في الغرب: الجهود الفلسفية عند محمد أركون، رون هاليبر، ترجمة: جمال شحيد، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ـ سورية، ط١، ٢٠٠١م.

(٣٨) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الصدوق (ت٣٨١هـ)، منشورات الرضي، قم ـ إيران، ط١، ١٤٢٧هـ.

(٣٩) الفكر الإسلامي الحديث بين السلفيين والمجددين، محمود إسماعيل، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، ط١، ٢٠٠٦م.

(٤٠) الفكر الإسلامي قراءة علمية، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، ط٢، ١٩٩٦م.

(٤١) الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، الجزائر، دون طبعة، دون تاريخ.

(٤٢) الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٩٩م.

(٤٣) الفكر الإمامي في نقد الجابري، أحمد محمد النمر، مؤسسة أم القرى

للتحقيق والنشر، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ.

(٤٤) في المنهج المعصوم والنص، الشيخ حسين كوراني، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ.

(٤٥) قراءات في القرآن، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٧م.

(٤٦) القراءة الاركونية للقرآن، أحمد فاضل السعدي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٣م.

(٤٧) القراءة الحديثة المعاصرة للقرآن الكريم وأثر الاستشراق فيها، عمر زهير علي، دار العصماء، دمشق ـ سوريا، ط١، ٢٠١٧م.

(٤٨) القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، محمد اركون، ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت ـ لبنان، ط٢، ٢٠٠٥م.

(٤٩) قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، محمد زكي العشماوي، دار النهضة العربية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٨٤م.

(٥٠) قضايا في نقد العقل الديني، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٢م.

(٥١) الكافي، الكليني (ت٣٢٩هـ)، منشورات الفجر، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٧م.

(٥٢) كفى ثقافة طائفية ومثقفون طائفيون، إدريس هاني، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٩م.

(٥٣) المثقف التكفيري: محمد عابد الجابري أنموذجاً، علي حسن هذيلي،

الروسم للصحافة والنشر والتوزيع، بغداد ـ العراق، ط١، ٢٠١٥م.

(٥٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، انتشارات ناصر خسرو، قم-إيران، ط٧، ١٤٢٥هـ.

(٥٥) مجمع الزوائد، الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة-مصر، ط١، ١٤١٤هـ.

(٥٦) محمد أركون: دراسة النظريات ونقدها، مجموعة مؤلفين، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، النجف الأشرف-العراق، ط١، ٢٠١٩م.

(٥٧) محنة التراث الآخر: النزعات العقلانية في الموروث الإمامي، إدريس هاني، الغدير للدراسات والنشر، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

(٥٨) المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، حسن الربيعي، المكتبة القانونية، النجف الأشرف-العراق، ط١، ٢٠٠٩م.

(٥٩) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، مهدي المخزومي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة-مصر، ط٢، ١٩٥٨م.

(٦٠) المستدرك، الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤١١هـ.

(٦١) مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢١هـ.

(٦٢) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مكتبة الصدوق، طهران-إيران، ط١، ١٣٧٩هـ.

(٦٣) المعجم الكبير، الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، مكتبة القاهرة، القاهرة-مصر، ط٢، ١٤١٥هـ.

(٦٤) مقباس الهداية في علم الدراية، عبد الله المامقاني، تحقيق: محمد المامقاني، مطبعة نكارش، قم-إيران، ط٢، ١٣٩٣هـ.

(٦٥) مناهج المتكلمين في فهم النص القرآني، ستار جبر الأعرجي، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، كربلاء-العراق، ط١، ٢٠١٩م.

(٦٦) نحو نقد العقل الإسلامي، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٩م.

(٦٧) النص في القرآن بين تأويل القدامى والمحدثين: دراسة تحليلية، نجدب بوعمامة، أطروحة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، كلية الآداب واللغات، ٢٠١٤م.

(٦٨) نقد التراث، عبد الإله بلقزيز، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠١٤م.

(٦٩) نهج البلاغة، الشريف الرضي، دار الرضي، طهران - إيران، ط١، ١٩٦٠م.

(٧٠) وجهة نظر: نحو اعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٩٣م.

المواقع الالكترونية:

(١) موقع المعرفة، www.marefa.org